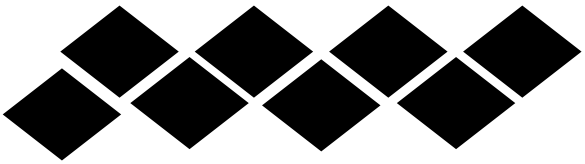

الجمل المقولة الحجاجية في القرآن الكريم:
دراسة عرفانية في ضوء نظرية الطراز الموسعة (حجاج موسى عليه السلام وفرعون نموذجاً)

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية)

د. حسين محمد علي البسومي

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الوادي الجديد

DOI: 10.21608/QARTS.2022.163014.1516

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٤ (الجزء الثاني) يناير ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN (Print): 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN (Online): 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

المقولة الحجاجية في القرآن الكريم: دراسة عرفانية في ضوء نظرية الطراز الموسعة (حجاج موسى عليه السلام وفرعون نموذجًا)

الملخص:

تناول البحث قضية "المقُولة الحجاجية في القرآن الكريم. دراسة عرفانية في ضوء نظرية الطراز الموسعة. حجاج موسى عليه السلام وفرعون نموذجا"، مستهدفا من ذلك تحديد مفهوم المقُولة الحجاجية، وتحليلها في ضوء مبادئ النظرية الموسعة، وبيان خصائصها التي تميزها عن المقُولة المعجمية، والكشف عن خصائص البنية العرفانية للحجاج القرآني.

وقد اعتمد البحث في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، ومما يمثل القيمة المضافة للبحث صياغته مفهوما جديدا للمقولة الحجاجية، ووضع ضوابط جديدة لتعيين المفهوم القاعدي للمقولة الحجاجية، والكشف عن الطابع الشبكي للمقولة، بدلا عن الطابع الهرمي الذي نادت به النظرية الموسعة.

الكلمات المفتاحية: نظرية الطراز الموسعة، الحجاج اللغوي، المقُولة الحجاجية، المفهوم القاعدي.

مقدمة

نخاطب الآخرين في حياتنا اليومية بقصد التأثير فيهم، وإقناعهم بآرائنا ومعتقداتنا، ويتفاوت تحقيق تلك الغاية من خطاب حجاجي إلى آخر، تبعا لمهارة المرسل الحجاجية، وقابلية المتلقي للاقتناع، وطبيعة مضمون الخطاب الحجاجي، ومدى التأثير المستهدف إحداثه لدى المتلقي، والمنهج المتبع في الحجاج، والأدوات الحجاجية المستخدمة، وعدد من المتغيرات الأخرى التي تؤثر في الموقف الحجاجي قوة وضعفا، كالحضور الذين يشهدون الحجاج، والزمان والمكان اللذين يتم فيهما الحجاج، والحالة النفسية التي تلف الحدث الحجاجي. فالحجاج هو "طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع (أو المستقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المستقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه"[١]

وتعد الآيات الكريمة التي تقص حجاج الأنبياء عليهم السلام مع مخالفيهم مثالا ثريا تتوافر فيها جميع أركان الحجاج؛ نظرا لخطورة مضمون الرسالة الحجاجية التي تتحدث عن العقيدة، وعظم التأثير المستهدف إحداثه من تغيير في المعتقدات وموازين القوى والنفوذ، والمهارة الحجاجية العالية للأنبياء، والطبع على الجدال والمعاندة لمخالفيهم، والآيات والمعجزات التي أيَّد الله بها أنبياءه، بالإضافة إلى علانية الحجاج التي غالبا ما يخطط لها الأنبياء لتعميم الدعوة والإبلاغ لعموم الحاضرين.

---

[١] – التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٢٣.

ونظرا لتلك الأهمية فإن البحث يهدف إلى دراسة حجاج موسى عليه السلام وفرعون من زاوية عرفانية، وبأدوات بحثية تكشف عن خصائص المقْولة الحجاجية، التي شكَّلها تدافع الحجج بين طرفي الحجاج، على نحو أكسبها خصوصية في بنائها، وتناميها، وترابطها إذا ما قورنت بغيرها من المقْولات غير الحجاجية، كالمقْولات المعجمية مثلا. وقد جعل البحث من نظرية الطراز الموسعة للباحثة الروسية إلينور روتش إطارا منهجيا ضابطا لتناول جوانب المقولة الحجاجية، وتحليلها، وبيان خصائصها.

أسباب اختيار الموضوع:

اختار البحث موضوع الحجاج؛ نظرا لأهميته في حياتنا اليومية، ومعايشته في أبسط المواقف وأعقدها على السواء، حيث يتوقف تمام التواصل والتفاهم على الأخذ بمبادئ الحجاج وآلياته، وتزداد تلك الأهمية لدى أولئك الذين يتصدون لتغيير قناعات الآخرين، وإرساء الثقافات والمعتقدات الجديدة، فأراد البحث أن يسهم قدر الاستطاعة في الكشف عن بعض الجوانب الحجاجية التي تزداد الحاجة إليها في واقعنا المعاصر، وذلك وفق معطيات عرفانية.

أما اختيار المقْولة الحجاجية بين موسى عليه السلام وفرعون فلأنها غنية بجميع جوانب الحجاج، ويتضح ذلك فيما يلي:

١- جدية المضمون وخطورته، وهذا سوف يستنفر كل القوى الحجاجية لدى طرفي الحجاج لتحقيق الغلبة.

٢- المهارة الحجاجية العالية لموسى عليه السلام، وخبرة فرعون في الجدال والمراوغة، وطبعه على الكبر والعناد، والطغيان.

٣- توظيف ألوان متعددة من الحجج القولية والفعلية، واشتمال الردود على كثير من المغالطات الحجاجية ودحضها، والتزام استراتيجية اللين في مواجهة القوة والغضب.

٤- احتفاء القرآن الكريم بهذا الحوار الحجاجي، وذكره في أكثر من سورة، والكشف عن جميع مراحله بدءا بمرحلة الاستعداد والتدريب، وانتهاء بتحقيق الغلبة لموسى عليه السلام.

أما اختيار نظرية الطراز الموسعة إطارا منهجيا لتناول تلك المقُولة الحجاجية؛ فلأنها واحدة من النظريات العرفانية الحديثة التي خضعت للتطوير والتحديث، فهي تعد تطويرا جذريا لنظرية الطراز الأصلية للباحثة نفسها، كما أنها قامت على أساس من نظرية التشابه الأسري لفيتجنشتاين، وقد اجتمعت تلك النظريات الثلاثة في أنها مثلت ثورة على النظرية الكلاسيكية لأرسطو، المعمول بها من لدن أرسطو حتى بداية السبعينيات في تفسير حدوث عملية المقُولة، وتحديد خصائصها، وضوابطها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن نظرية الطراز الموسعة تقدم آليات، وتوفر أدوات تحليلة جديدة، يمكنها أن تكشف عن الخصائص العرفانية المفهومية للمقُولة الحجاجية، وذلك من خلال الربط بين عملية المقْولة وهي عملية ذهنية عرفانية، والمقُولة اللغوية التي تعد منتوجا لغويا لها.

المشكلة البحثية:

تمثلت المشكلة البحثية في جانبين: أحدهما موضوعي يتصل بموضوع حجاج المخالفين في القرآن الكريم، وصعوبة بنائه المفهومي؛ نظرا لبناء المقولة الحجاجية من مقولتين فرعيتين، واحدة لكل طرف من طرفي الحجاج، وهما تتداخلان، وتتدافعان في

نقاط مفهومية متعددة، بالإضافة إلى ما صُبغت به من طابع تداولي، أبرزَ مفاهيم، وأضمرَ أخرى، ونوَّع من أطراف الحجاج، ووظَّف أبعادا اجتماعية وسياسية ومقامية متعددة، ألقت جميعها على المقولة الحجاجية مزيدا من الخصوصية في بنائها المفهومي، وآليات تناميها، وطبيعة ترابطها.

أما الجانب الآخر فهو منهجي، يتصل بنظرية الطراز الموسعة نفسها، حيث طبقت النظرية بشكل فعال في تحليل المقولات ذات الطابع المعجمي، مثل مقولة الأعداد، أو مقولة الألعاب، أو مقولة الطيور ...إلخ، ولم تطبق على مقولات نصية ذات طابع تداولي –على حد علم الباحث– كما هو الحال في مقولة حجاج المخالفين التي يتناولها البحث، وهذا ما مثل صعوبة في توظيف تلك النظرية في تحليل المقولة الحجاجية، الأمر الذي اقتضي أحيانا من البحث إبراز جوانب معينة من النظرية، وإضافة مفاهيم جديدة إليها على نحو ما سيتبين في دراسة الموضوع.

الدراسات السابقة:

يلتقي هذا البحث مع نوعين من البحوث: أحدهما يتناول قضية حجاج المخالفين في القرآن الكريم من الناحية اللغوية، ومن هذه البحوث: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي (٢٠٠٦م)، وكتاب الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٢٠٠٧م).

أما النوع الآخر فهو بحوث تناول بعضها نظرية الطراز الموسعة بالشرح والتفسير، مقارنا بينها وبين نظرية الطراز الأصلية، ونظرية التشابه الأسري لفيتجنشتاين، ومن هذه البحوث: كتاب "دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، لمحمد الصالح البوعمراني، (٢٠٠٩م)، واهتم البعض الآخر بتطبيق النظرية على مقولات ذات طابع معجمي في محاولة لبيان قدرات النظرية في تفسير تلك المقولات، وتحديد المعنى القاعدي فيها، ومنزلته منها، ومن هذه البحوث: المعنى

القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرائق انتشاره، دراسة في نظرية الطراز، لعبد الله صولة، (٢٠٠٣م).

أما هذا البحث فقد أفاد من تلك البحوث التي تناولت نظرية الطراز الموسعة بالشرح والتفسير، والمقارنة بينها وبين نظريتي الطراز الأصلية ونظرية التشابه الأسري، واسترشد بالبحوث التطبيقية في توظيف النظرية على المقولة الحجاجية، كما أفاد البحث من تلك البحوث والدراسات التي تناولت قضايا الحجاج بالدراسة والتحليل خصوصا تلك التي طُبقت على حجاج المخالفين في القرآن الكريم، ومنها حجاج موسى عليه السلام مع فرعون. وبذلك فإن هذا البحث قد اختص بتناول المقولة الحجاجية من زاوية عرفانية، مطبقا عليها مبادئ نظرية الطراز الموسعة، وعمل –من خلال ذلك– على الكشف عن خصائص البنية المفهومية للمقولة الحجاجية، وآليات تنامي مفاهيمها، وتفاوتها فيما بينها في تأثيراتها الطرازية، وخصائص المفهوم القاعدي فيها، ومنزلته منها.

هيكلة البحث:

تناول البحث موضوعه في مقدمة، وأربعة مباحث: **المبحث الأول** بعنوان " **من النظرية الأصلية إلى النظرية الموسعة**"، واشتمل على أولا: نظرية الطراز الأصلية، ثانيا: النظرية الموسعة، وجاء **المبحث الثاني** بعنوان "**البناء المفهومي للمقولة الحجاجية**"، واشتمل على أولا: مفهوم المقولة الحجاجية، ثانيا: مفاهيم المقولة الحجاجية بين موسى عليه السلام وفرعون، وجاء **المبحث الثالث** بعنوان "**التأثيرات الطرازية والمفهوم القاعدي للمقولة**"، وقد اشتمل على أولا: مفهوم التأثير الطرازي في المقولة الحجاجية، ثانيا: التماسك الطرازي في المقولة الحجاجية، ثالثا: التأثير الطرازي والمفاهيم المنقطعة، رابعا: التأثير الطرازي والمفاهيم المغالطة، خامسا: التأثير الطرازي والمفاهيم المضمرة، أما **المبحث الرابع** فقد جاء بعنوان "**المقولة الحجاجية بين الهرمية والشبكية**"، ثم جاءت **الخاتمة** متضمنة أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول

من النظرية الأصلية إلى النظرية الموسعة

تبحث نظرية الطراز العمليةَ الذهنيةَ التي يقوم بها الإنسان في تنظيمه كل الأشياء التي تحيط به أثناء تفاعله معها، حيث يصنف تلك الأشياء في ذهنه إلى فئات، ويجعل في كل فئة العناصرَ المتجانسة فيما بينها، وقد أُطلق على هذه العملية مصطلح "المقْولة" Categorization. فالمقْولة هي "عملية ذهنية تقوم على ضم مجموعة من الأشياء المتنوعة في صنف يجمعها، فأفكارنا وإدراكاتنا وحركاتنا وكلامنا نشاطات تقوم على المقْولة، فالمقْولة تُولد مع الإنسان وتصاحبه في حياته حتى الموت"[١] وهذه العملية ضرورية للإنسان، فـ"بدونها يكون المحيط وكذلك الأفكار وضروب السلوك مبعثرةً وفوضوية، وبدونها لا تستطيع الذاكرة أن تحتفظ بشيء"[٢] ولذلك فقد بُحثَ هذا التصنيف الذهني أو المقْولة منذ أرسطو، ولا يزال البحث فيه مستمرا حتى الآن.

فقد وضع أرسطو عددا من الضوابط تحكم هذه العملية الذهنية وتضبط حدوثها، وسُمِّيت تلك الضوابط بالشروط الضرورية والكافية (ش . ض . ك)، وهي شروط لابد من توافرها في الشيء حتى ينسب إلى مقْولة معينة[٣]، ومن أهم المبادئ

---

١ – المقولة والطراز مقاربة في الدلالة العرفانية (زرايب العبيد) لنجوى بن شتوان أنموذجا، طاهر محمد بن طاهر, وثريا محمد الشفطي، مجلة شمالجنوب، العدد الثاني عشر، ديسمبر ٢٠١٨، ص ٢٠٥.

٢ – المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، حوليات الجامعة التونسية، العدد: ٤٦; يناير ٢٠٠٢، ص ٣٧١.

٣ – المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، ص ٣٧١–٣٧٢.

الأخرى التي قامت عليها هذه النظرية الكلاسيكية أن "انتماء وحدة مخصوصة إلى مقْولة ما يخضع لنظام الخطأ والصواب ف"ش"يمكن أن يكون كلبا عندما يكون له الشروط الضرورية والكافية لمقولة كلب، ولا يكون كذلك عندما لا يتوفر على هذه الشروط"[١]. بالإضافة إلى أن العناصر المنتمية للمقولة نفسها "لها وضعية مقولية متساوية، بما أن كل عنصر يمتلك الخاصيات المقترحة في تعريف المقولة، فكل عنصر في المقولة هو عنصر جيد مثل العناصر الأخرى، فالتحديد يجب أن يكون صارما، إما داخل المقولة أو خارجها. والأشياء عندما يُعلن انتماؤها إلى مقولة ما فهي تتساوى مع العناصر الأخرى ولا تتفاضل عنها أو تصنف دونها"[٢]

ومع بداية الثلاثينات خرج لودفيج فيتجنشتاين L. Wittgenstein ، على مبادئ النظرية الكلاسيكية الأرسطية، ووضع نظرية "التشابه الأسري Family Resemblance" التي تجعل من مبدأ التشابه الأسري القائم بين عناصر المقُولة الواحدة أساس بناء عملية المقْولة، حيث أهمل فيتجنشتاين مبدأ الشروط الضرورية والكافية، وجعل مكانه أن أي عنصر من عناصر العائلة الواحدة يشترط أن يتقاسم على الأقل خاصية من الخصائص مع عنصر آخر من عناصر العائلة نفسها[٣]، دون أن يعني ذلك أنه نحَّى مبدأ الشروط الضرورية والكافية تماما من كل التصورات، فهناك "بعض فروع تصور معين من التصورات القائمة على التشابه الأسري تجمعها قيود

---

[١] –مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م ص ٦٠.

[٢] –السابق، ص ٦٠.

[٣] – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٦١.

ضرورية وكافية، كما هو واضح في تحليله لتصور قائم على التشابه الأسري مثل تصور العدد، الذي لا يمكن التوسع في أنماطه إلا بكيفيات دقيقة محددة"[١]، كما ترى النظرية أن "التشابهات بين عناصر العائلة الواحدة دون أن تكون خاصيات مشتركة تجتمع فيها كل العناصر، ولكن هناك اشتراك على الأقل بين عنصرين من عناصر المقولة، دون أن يشير فيتجنشتاين إلى ضرورة القياس إلى طراز المقولة سواء كان هذا الطراز الممثل الأفضل للمقولة أو التمثيل الذهني للخاصيات النموذجية"[٢]، بالإضافة إلى أنه هدَم "عن طريق مفهوم التشابه الأسري المبدأ الثالث للنظرية الكلاسيكية الذي يقول إن العناصر داخل المقولة هي على نفس الدرجة، فليس هناك عناصر أكثر مركزية من بقية العناصر. وبيَّن مثلا في مقولة العدد أن الأعداد الصحيحة هي العناصر المركزية في المقولة؛ لذلك فهي تمتلك منزلة أهم من الأعداد المركبة"[٣]، أو أن انتساب العصفور إلى مقولة الطيور أقوى من انتساب النعامة والكتكوت إليها،[٤] كما نادى فيتغنشتاين بأنه لا يوجد حدود ثابتة للمقولة، ومثَّل لذلك بـ"مقولة الألعاب. فهذه المقولة يمكن أن تتوسع وأن تنضاف إليها أنواع جديدة من الألعاب، ولعل ألعاب الفيديو تمثل حالة حديثة تبين كيف يمكن أن تتوسع المقولة بشكل كبير"[٥]

---

[١] – تصور السمات الدلالية، نموذج فيتجنشتاين وبعض امتداداته في النظرية اللسانية الحديثة، محمد غاليم، اللسانيات العربية مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، العدد١، يناير ٢٠١٥، ص ١٣.

[٢] – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٧٠.

[٣] – السابق، ص ٦٢.

[٤] – تصور السمات الدلالية، نموذج فيتجنشتاين وبعض امتداداته في النظرية اللسانية الحديثة، محمد غاليم، ص ٢١.

[٥] – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٦٢.

وفي بداية السبعينات أحدثت إلينور روتش Eleanor Rosch أيضا ثورة على النظرية الكلاسيكية لأرسطو، ووضعت نظرية الطراز theory Prototype ، التي هدمت بها مبادئ النظرية الكلاسيكية، وقد أفادت في ذلك من نظرية التشابه الأسري لفيتجنشتاين، وانعكس هذا جليا في نظريتها الأصلية، ومن بعدها نظريتها الموسعة، حيث لم تعد تشترط فيهما –كما كان في المدرسة الكلاسيكية– أن العنصر يجب أن يشتمل على جميع الشروط الضرورية والكافية (ش . ض . ك) لمقولة معينة حتى ينضم إليها، فقد أصبح "الانتماء إلى المقولة لا يرجع إلى الشروط الضرورية الكافية. وبالمقابل أيضا فإن انتماء مجموعة من الأشياء إلى مقولة واحدة لا يرجع إلى مجرد المصادفة، فهناك مبدأ منظِّم لهذا الانتماء، هذا المبدأ هو التشابه الأسري الذي يربط بين مختلف عناصر المقولة"[١]، وفي الوقت نفسه حافظت نظرية الطراز على تميزها عن نظرية التشابه الأسري لفيتجنشتاين؛ حيث "يكمن الاختلاف الحاسم مع نظرية الأنموذج القياسية (الطراز الأصلية) في أن نظرية الشبه العائلي التي نادى بها فيتجنشتاين لا تستتبع وجود وحدة مركزية "تمثل" الفئة (المقولة)، إما بوصفها أفضل مثال أو بوصفها توافقية خصائص نمطية، يُصار إلى تقييم أعضاء الفئة بالنسبة إليها"[٢]

وفيما يلي بيان بأهم مبادئ نظريتي روتش: الأصلية والموسعة بقدر ما يحتاجه البحث:

---

١ – السابق، ص ٦٤.

٢ – علم دلالة الأنموذج: الفئات والمعنى المعجمي، جورج كليبر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة صلاح الماجري، المنظمة العربية لترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص ٢٤٠.

أولا: نظرية الطراز الأصلية:

جعلت النظرية الأصلية للمقولة طرازا أي عنصرا مركزيا أو محورا أو نموذجا ترتبط به كل العناصر التي تنتمي للمقولة، ويُشترط في هذا الطراز أن يكون أكثر عناصر المقولة تمثيلا لها، أي الأكثر اشتمالا على السمات الجوهرية التي تميز المقولة عن غيرها، وجعلت شرط دخول أي عنصر إلى المقولة هو أن يتقاطع مع ذلك الطراز في سمة أو أكثر، فـ"اعتماد التشابه الأسري ورفض نموذج ش ض ك اقتضى تفسيرا جديدا للمقولة، فنحن لا ندمج شيئا ما في مقولة ما إذا أثبتنا أنه له السمات التعريفية لتلك المقولة، بل بمقارنتها بطراز هذه المقولة. فالمقولة تقوم إذن على قاعدة التماثل مع المثال الأفضل للمقولة."[١]، كما جعلت النظرية عناصر المقولة الواحدة غير متساوية في القوة والتمكن، فهي تتدرج من القوة إلى الضعف حسب قربها من طراز المقولة، فما كان منها أكثر قربا في سماته من الطراز كان أكثر قوة وتمكنا، وذلك بخلاف النظرية الكلاسيكية التي تساوي بين جميع عناصرها في القوة والتمكن، فـ"اعتماد التشابه الأسري أدى إلى تغيير البنية الداخلية للمقولة، فلم تعد عناصر المقولة على نفس الدرجة من الأهمية بل أضحت المقولة تتبني وفق تدرج تمثيلي. فالطراز سيبدو مثل العنصر المركزي الذي تنتظم حوله كل عناصر المقولة"[٢]، "ونتيجة لذلك فإن كان عدد الصفات المشتركة مرتفعا فإن درجة التشابه الأسري ستكون مرتفعة. والعكس أيضًا صحيح، فإذا كان عدد الصفات المشتركة متدنيا فدرجة التشابه الأسري

١ – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٦٥

٢ – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٦٦.

ستكون متدنية. والطراز، انطلاقا من ذلك هو النموذج الذي يتوفر فيه أكبر عدد من الصفات المتقاسمة بين العناصر الأخرى"[١]

ثانيا: النظرية الموسعة:

تعرضت نظرية الطراز الأصلية لعدد من الانتقادات، كان أهمها هو تقييدها كل عنصر من عناصرها بضرورة أن يتقاطع مع الطراز في سمة أو أكثر من سماته، وقد أدى ذلك إلى جعْل المقولة أحادية الطراز، وهذا ما جعلها نظرية تناسب المقْولات أحادية المعنى، ولا تستطيع تفسير المقْولات متعددة المعنى؛ حيث إن هذا "الإلزام جعل الطراز قطبا لنوع واحد من المراجع ومنع انفجار المقولة إلى مقولات فرعية يمكن ألا تجتمع فيما بينها في سمة مشتركة"[٢]، إضافة إلى ذلك فإنها تحتاج إلى تأويل الروابط التي بين الطراز وبعض عناصر المقولة، ولاسيما تلك التي ترتبط معه بعلاقات غير مباشرة. وقد عملت النظرية الموسعة على تجاوز تلك الانتقادات، فأجرت تغييرات في بنية المقولة، بحيث تتسع للمعاني المتعددة، وقد اقتضي ذلك منها أن تُسقط شرط الارتباط المباشر بين طراز المقولة وجميع عناصرها، واستبدلت به شرطا آخر هو ضرورة ارتباط كل عنصر من عناصرها على الأقل بعنصر آخر، بحيث تكون جميع عناصر المقولة مترابطة فيما بينها "ولو في خصيصة واحدة بين المعنى المركزي أو القاعدي للمقولة وبين المعاني المشتقة منه [٣]، وترتب على ذلك إغفال مبدأ الطراز الذي كان معمولا به في النظرية الأصلية، فلم يعد هناك عنصر طرازي تعود إليه جميع

---

١ – السابق، ص ٦٩.

٢ – مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، ص ٧٢.

٣ – المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، ص ٣٧٠.

العناصر في المقولة، وحل محله مبدأ التأثيرات الطرازية Prototype Effects، فـ"النظرية الموسعة لا تقوم على مفهوم الطراز أصلا كما هو الشأن بالنسبة إلى النظرية الأصلية، وإنما قوام انتظام المقولة الدلالية فيها التأثيرات الطرازية"[١].

ويقصد بالتأثيرات الطرازية تلك المسوغات التي يمتلكها العنصر، والتي تسمح باشتقاق عنصر جديد منه أو أكثر، عن طريق إحدى العلاقات الدلالية، حتى إن آخر العناصر قد لا يكون له صلة مباشرة بالعنصر الأول، فلعل "من أهم ما جاءت به النظرية الموسعة مخالفا للنظرية الأصلية ومقدما إضافة متفردة في مجال دراسة المشترك هو أنه لا يشترط في أفراد المقولة أن يشتركوا جميعا في سمة واحدة على الأقل وإنما للمعاني التي يفيدها اللفظ الواحد أن تشكل حلقات قد يكون أولها في السلسلة (المعنى أ مثلا) غير ذي علاقة مع آخرها فيها (المعنى هـ مثلا)"[٢]، وقد ترتب على ما أحدثته النظرية الموسعة من تغييرات أن أسقطت مبدأ تدرج عناصر المقولة في القوة والضعف الذي كان معمولا به في النظرية الأصلية، واستبدلت به مبدأ آخر هو أن أبرز عناصر المقولة وأوضحها هو ذلك العنصر الذي يمتلك تأثيرات طرازية أقوى، وأسمت ذلك العنصر بالمعنى القاعدي، أو الأصلي الذي يغلب أن يكون هو أصل المقولة، وبداية نشأتها التي تفرعت عنه بقية عناصرها بشكل مباشر أو غير مباشر.

---

١ – المعنى القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرائق انتشاره. دراسة في نظرية الطراز، عبد الله صولة، مجلة المعجمية، تونس، العدد: ١٨–١٩، ٢٠٠٣م ، ص ١٩.

٢ – المعنى القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرائق انتشاره. دراسة في نظرية الطراز، عبد الله صولة، ص٢٠.

بنية المقولة في النظرية الموسعة:

تعتمد بنية المقولة في النظرية الموسعة على بعدين أساسيين، أحدهما عمودي، والآخر أفقي، أما البعد العمودي فيتمثل في علاقة التضمين التي تربط كل عنصر بما يندرج تحته، مشكلة بذلك بناء هرميا، قاعدته العناصر الفرعية، ورأسه العنصر الأعم، حيث "تشكل المقُولات فيما بينها هرمية تتدرج فيها من الأخص إلى الأعم وهو ما يسمى بقانون التصنيف. وتعرف روش قانون التصنيف بقولها: هو نظام تكون المقُولات بمقتضاه مرتبطا بعضها ببعض، وذلك بتضمين الأقسام بعضها في بعض وإدماج بعضها في بعض."[١]

وقد قسمت روتش البعد العمودي للمقولة إلى ثلاثة مستويات أساسية، هي: المستوى الأعلى (مثل: حيوان) ، ثم يندرج تحته المستوى الأوسط (مثل: كلب)، ثم يندرج تحته المستوى الفرعي (مثل: بُلْدغ) [٢]، وتعبر روتش أن المستوى المتوسط هو المستوى القاعدي، وهو الأهم، والأعلى بروزا في المقُولة[٣]، وذلك لأن المستوى القاعدي يتميز "بثراء دلالي كبير، ويستمد هذا الثراء الدلالي من معينين، أولهما ماصدقي، فالكلب يُحَدُّ ماصدقيا بكونه يضم أفرادا مثل البلدغ والسلوقي والكانيش ...إلى غير بذلك. وثانيهما مفهومي ، فالكلب يُعرَّف بأنه "حيوان"، "ذو أربعة أرجل"، "ثديي" ... إلخ، فههنا سر من أسرار الثراء الدلالي الذي لألفاظ المستوى القاعدي، فهو

---

١ – المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، ص ٣٧٥.

٢ – السابق، ص ٣٧٧.

٣ – المقولة والطراز والمستوى القاعدي في نظرية الطراز، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م، ص٤٨.

ذو ماصدق ومفهوم معا"[١]، "ولعل هذا الثراء الدلالي هو ما جعل لفظ المستوى القاعدي لفظا مركزيا منظِّما في اتجاهين"[٢]

أما البعد الأفقي فيتمثل في النظرية الموسعة في التأثيرات الطرازية التي تسمح بتوالد العناصر بعضها من بعض، عن طريق علاقات دلالية متنوعة، وتحقق بذلك الترابط المشروط بين عناصر المقولة الواحدة، وكذلك فإن "المقولة الأفقية تهدف إلى الكشف عن طريقة انتظام المستوى الواحد انتظاما يميز المقُولة عن سائر المقولات المقابلة لها"[٣]

١ – السابق، ص٤٩.

٢ –السابق، ص٤٩.

٣ – المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، ص ٣٨٣.

المبحث الثاني

البناء المفهومي للمقُولة الحجاجية

أولا: مفهوم المقُولة الحجاجية:

الحجاج اللغوي كما يرى ديكرو O.Ducrot وزميله كلود أنسكمبر Anscomber[١] هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[٢]. فالخطاب عنده ليس مجرد وسيلة إخبارية فقط بل هو وسيلة إخبارية تهدف إلى التأثير في المخاطبين، وهذه العملية التأثيرية هي التي تسمى بالحجاج.[٣]

---

١ –أسس ديكرو O.Ducrot وزميله كلود أنسكمبر Anscomber نظرية "الحجاج اللغوي"، حيث طورا أفكار أوستين وسيرل في نظريتهما "الأفعال الكلامية"، وبنيا عليها نظريتهما في الحجاج اللغوي سنة ١٩٧٣م، فهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، كما تعنى بدراسة الأهداف الحجاجية، ورصد تأثيرها التداولي على المستمع.(انظر: نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، مجلة المنهاج، العدد السبعون، ٢٠١٣م ، ص٣٣،٣٤)، كما قامت نظريتهما على مبدأ أننا لا نتكلم إلا بقصد التأثير، وأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية في بنية الأقوال نفسها مؤشرات وأدوات تحقق لها تلك الوظيفة الحجاجية، سواء كانت هذه المؤشرات صوتية أو صرفية أو معجمية أو تركيبية أو دلالية (انظر: اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ٢٠٠٦، الدار البيضاء، ص٨، ١٤.، وانظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٧، ص ٣٣،٣٤، وانظر أيضا: نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، ص٩٠).

٢ – اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ص ١٦.

٣ –نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرووأنسكومبر، جايلي عمر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، ٢٠١٨، ص ١٩٦.

والحجة اللغوية عنده هي ذلك المفهوم الذي يقدمه المتكلم لصالح مفهوم آخر، وقد يكون هذا المفهوم لفظيا على شكل قول أو فقرة أو نص، وقد يكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي[١]، والحجج ذات طبيعة "سياقية تتحدد حجيتها بالسياق اللغوي، فقد تكون العبارة الواحدة إما حجة وإما نتيجة. ومن جهة ثانية تكون الحجج اللغوية نسبية ما دامت هناك حجج مضادة محتملة من المستمع."[٢]

وفي ضوء ما تقدم من مبادئ النظرية الموسعة، ومفهوم الحجاج اللغوي فإنه يمكن تعريف المقُولة الحجاجية بأنها نص خطابي، يتبادل فيها طرفان أو أكثر الحجج والنتائج بهدف إقناع أحدهما الآخر الذي قد يقتنع بحجج الأول، أو يرفضها، أو يتهرب منها، ويراوغ فيها، وهذا يعني أن لكلٍّ من المتكلم والمخاطب مقُولته الخاصة، وأن كل مقولة منهما تتقاطع وتتدافع مع الأخرى في عدد من المفاهيم تأييدا أو إنكارا، وأن هذه المقُولة النصية هي المقابل اللفظي لعملية المقْولة الذهنية التي يجريها كل من طرفي الحجاج في ذهنه، ينظم فيها مفاهيمه في ضوء خصائص مقْولة الطرف الآخر؛ حتى يتسنى له تحقيق غرضه من الحجاج.

---

١ – اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي ، ص ١٨.

٢ –نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، ص٩٢.

ثانيا: مفاهيم المقولة الحجاجية بين موسى عليه السلام وفرعون:

يمكن تقسيم الآيات القرآنية الكريمة التي تقص المفاهيم التي تتبني منها المقولة الحجاجية بين موسى عليه السلام وفرعون إلى عدد من الجولات التي مرت بها وفق مضمونها وأدواتها وأطراف الحجاج فيها، وذلك على النحو التالي[١]:

الجولة الأولى: افتتاح المقولة الحجاجية العامة:

اتصفت مفاهيم مقولة موسى عليه السلام وردوده في عموم المقولة بعدد من الخصائص، نجملها فيما يلي:

- السرعة في عرض المفاهيم، وفي الرد عليها حتى يتمكن موسى عليه السلام من إيصال المطلوب قبل أن يقاطعه فرعون، ولذلك حصل الإيجاز في العبارة، مع الشمولية في تناول جميع الجوانب المحققة للغرض الحجاجي الإقناعي المقولة.
- الوضوح في العبارة، والمباشرة في التعبير عن الهدف؛ حتى لا يجعل فرعون من الغموض ذريعة للتفلت والمراوغة.
- اللين في القول في أغلب مراحل المقولة تناسبا مع نفسية فرعون المتكبرة والمتعجرفة، فذلك أدعى لاستجابته.

افتتح موسى عليه السلام مقولته بمفهومين مركَّزين في عبارة موجزة، يعبران عن مقصده بشكل مباشر، ويلخصان مقولته، هما: (الله تعالى هو رب العالمين) و(موسى عليه السلام رسول من الله تعالى)، جاء ذلك في قوله تعالى: "فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ

---

[١] – **تطلب ذلك الجمع بين الآيات الكريمة على اختلاف سورها على نحو يمكننا من بناء المقولتين: مقولة موسى عليه السلام، ومقولة فرعون على نحو متكامل.**

فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِين"[1]، وبذلك فقد جعل موسى عليه السلام مفهوم (الله هو رب العالمين) هو المفهوم الأعلى والأعم في مقولته، وأن كل المفاهيم التي تندرج تحته هي بفعل تأثيرات طرازية منه، إما على سبيل الاقتضاء أو الوصف. ويندرج المفهوم الثاني (موسى عليه السلام رسول) تحت المفهوم الأعلى بعلاقة الاقتضاء، فمفهوم (الله رب العالمين) يقتضي مفهوما آخر مضمرا، وهو أن يعبده الناس، ومنهم فرعون وملؤه، وأن تحقق هذه العبادة يقتضي تبليغ الناس ذلك وتعريفهم إياها عن طريق الرسول. وبذلك ابتدأ موسى عليه السلام مقولته بمفهوم ألمح فيه إلماحا واضحا، ولكن دون التصريح بأن الله تعالى هو رب فرعون؛ حيث إن فرعون من العالمين، والله تعالى هو رب العالمين جميعا، إذن ففرعون ليس إلها، وإنما هو عبد لله تعالى، فـ"مبادأة خطابهما (موسى وهارون عليهما السلام) فرعون بأن وصفا الله بصفة رب العالمين مجابهة لفرعون بأنه مربوب، وليس برب، وإثبات ربوبية الله تعالى للعالمين، والنفي يقتضي وحدانية الله تعالى لأن العالمين شامل جميع الكائنات فيشمل معبودات القبط كالشمس وغيرها"[2]

كما أن مفهوم (موسى رسول الله) اقتضى عددا من المفاهيم المضمرة تحته، وقد كان هذا الإضمار شفيفا، بحيث يتمكن فرعون من إدراكها، وقد تحقق له ذلك، فحاول أن يهدمها، كما سيتبين في سياق المقولة، ومن هذه المفاهيم المضمرة:

---

١ –الشعراء: ١٦

٢ – التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ، ج١٩، ص ١١٠.

- أن رسل الله تعالى يعرّفون الناس بالله، ويهدون إلى الخير، ويدعون إلى الحق، ويرفعون عنهم الظلم.
- أن رسل الله تعالى لا يتقوَّلون على الله كذبا.
- أن رسل الله تعالى مزودون بمعجزات وآيات تؤيدهم وتحميهم.
- أن رسل الله تعالى هم الغالبون في نهاية الصراع مع أهل الباطل.

وهذه المفاهيم المضمرة هي بدورها اقتضت مفهومين آخرين: أحدهما مضمر، وهو أنه ينبغي على فرعون أن يؤمن بالله تعالى، ويتبع الهدى الذي جاء به موسى عليه السلام، وهو يعود بالمخاطب إلى المفهوم الأعلى (الله تعالى هو رب العالمين)، ولم يصرح موسى عليه السلام بهذا المفهوم من قبيل الملاينة التي أمره الله بها في مخاطبة فرعون ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]؛ ولأنه لو صرح به لهاج فرعون، وثار غضبه، وربما فشل الحوار بينهما في أوله، أما المفهوم الآخر فقد صرح به، وهو أن يكف فرعون عن تعذيب بني إسرائيل، ويرسلهم معه. وتقتضي تلك المفاهيم التي ابتدأ بها موسى عليه السلام عددا من المفاهيم التي تمثل نتائج لها، والتي كان ينبغي أن تصدر من فرعون، وبها يحصل الإقناع، وتنتهي المقولة الحجاجية، وهذه المفاهيم من قبيل: أن يرحب فرعون بموسى كونه رسولا من عند الله تعالى، وأن يؤمن بالله تعالى ويتبع الهدى الذي جاء به موسى عليه السلام، وأن يكف عن تعذيب بني إسرائيل وتعبيدهم، وأن يسمح لهم بمغادرة مصر. إلا أن فرعون أعرض عن ذلك كله تكبرا على الحق، وتقليلا من شأن موسى عليه السلام.

وقد بنى فرعون مقولة موازية لتلك التي بناها موسى عليه السلام، وبذلك يكتمل الشق الثاني من المقولة الحجاجية، وقد افتتح مقولته بمفهوم بعيد الصلة شيئا ما عن

[1] – طه: ٤٤.

مفاهيم مقولة موسى عليه السلام؛ ليبني عليه مفاهيم أخرى تستطيع أن تلتحم مع مفاهيم مقولة موسى عليه السلام بشكل مباشر، وقد جاء هذا المفهوم الذي ابتدأ به مضمرا، وهو أن (المتفضَّل عليه ذليل تابع، منقوص الإرادة، وليست له حرية الاختلاف والمعارضة. وأن المذنب ليست له شجاعة المواجهة)، ثم أسس على هذا المفهوم رده الذي يمثل مفاهيم جديدة يهدم بها مفاهيم مقولة موسى عليه السلام، وتقتضي تلك المفاهيم مهانة شأن موسى عليه السلام، ومن ثم عدم صلاحيته لأن يكون رسولا، ولا أن يتكلم باسم بني إسرائيل، وحكى القرآن الكريم عنه هذه الحجج، كما في: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[1] و﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[2]، ويريد فرعون من تلك المفاهيم أن ينقض مفهوم (موسى عليه السلام رسول رب العالمين)؛ بأنه غير مناسب لأداء كل ما تفرضه عليه الرسالة، و"قصده من هذا الخطاب هو إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون حيث أوجد له سببا يتذرع به إلى قتله ويكون معذورا فيه حيث كفر نعمة الولاية بالتربية، واقترف جرم الجناية على النفس"[3]

وقد أدرك موسى عليه السلام مقصد فرعون، فعمد إلى هدم مفاهيمه، وبدأ بمفهوم فرعون الثاني وهو ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[4]، نظرا لخطورته على حياته، فبادر بالرد عليه؛ حتى يرفع عنه ذلك الخطر، وقد رد عليها

---

[1] –**الشعراء: ١٨.**

[2] – **الشعراء: ١٩.**

[3] – **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ج ١٩، ص ١١٠.**

[4] – **الشعراء: ١٩.**

بثلاث مفاهيم مضادة: إحداها تسليم بالفعلة التي يحيل إليها فرعون، مع تقييد فعله لها بأنه كان من الضالين، والثاني أنه فر منهم ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [١] إشارة إلى أن القتل كان في حكم الخطأ والسهو، ولم يكن يستحق كل ذلك التخويف الذي مورس ضده، واضطره إلى الفرار؛ نجاة بنفسه[٢]، والثالث أن الله تعالى وهبه حكما وعلما يتزعم به بني إسرائيل، ورسالةً يدعو بها فرعون إلى الهدى ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، وبذلك اختُتِمت المقولة الافتتاحية بعدم قدرة فرعون على هدم المفاهيم التي قدمها موسى عليه السلام، وبخاصة مفهوم (أن موسى عليه السلام رسول من رب العالمين).

الجولة الثانية (تنامي الحجاج بين المقولتين):

أدرك فرعون أنه لم يتمكن في الجولة الافتتاحية من هدم مفهوم (موسى عليه السلام رسول رب العالمين)، فأراد أن يشن هجوما آخر على المفهوم الأعم، وهو (أن الله تعالى هو رب العالمين)، فلو لم يستطع موسى عليه السلام التعريف به، أو إثبات وجوده لانهدم كل ما تقدم به موسى عليه السلام من مفاهيم، وقد ساق فرعون مفهومه الجديد في صيغة سؤال عن رب العالمين بقوله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟﴾[٤] فاستثمر موسى عليه السلام ذلك المفهوم ليعرِّف فرعون والحاضرين بالله تعالى، وقد فصَّل في ذلك بعض الشيء؛ لأنه أراد أن يجعل ذلك المفهوم هو المفهوم القاعدي في

---

١ – **الشعراء: ٢١.**

٢ – **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ،ج، ٢٤، ص ٤٩٥.**

٣ – **الشعراء: ٢١.**

٤ – **الشعراء: ٢٣.**

مقولته، بتواتر ذكره، وجعله مرجعا تحال إليه كثير من المفاهيم، وقد حرص موسى عليه السلام على أن يذكر ما له طابع مادي حتى يغلق باب الجدال أمام فرعون، فلا يمكن له أن يدعي لنفسه أو لأحد غيره منها شيئا، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[1]. وهذا المفهوم المادي الذي ساقه موسى عليه السلام يقتضي من فرعون التسليم والاتباع، وإجابة موسى عليه السلام إلى طلباته، غير أن فرعون لم يرضخ لمقتضى ذلك المفهوم، وراوغ بمفهوم آخر ليس له صلة به، حيث التفت إلى ملئه، وهم ليسوا طرفا في الحوار، بسؤال يستحثهم فيه على التدخل في الحوار من أجل التشويش على موسى عليه السلام، وإفشال تلك المحاجة التي لا يستطيع مجاراتها ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[2]، وقد لاحظ موسى عليه السلام اضطراب فرعون فلم يتح له فرصة لإعادة ترتيب مفاهيمه، أو يترك للملأ فرصة للدخول في الحوار، فبادرهم بمفهوم جديد من جنس المفهوم السابق الذي أعجز فرعون، مع المبالغة في الضغط عليهم، بالتركيز أكثر على جوهر القضية، وهو (أن الله تعالى هو رب فرعون وملئه ورب آبائهم الأولين)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، غير أن فرعون قاوم أيضا ما يستلزمه ذلك المفهوم من تسليم واتباع، فتفلت من مقتضى النصف الأول من مفهوم موسى عليه السلام –وهو (أن الله هو رب فرعون وملئه الحاضرين)– بالجدال في النصف الآخر منه المتعلق بآبائهم الأولين، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[4]، إذ كيف يلزمهم الإيمان والاتباع

---

[1] – **الشعراء: ٢٤**

[2] – **الشعراء: ٢٥.**

[3] – **الشعراء: ٢٦.**

[4] – **طه: ٥١.**

وهم قد ماتوا، ولم يعبدوا الله وعبدوا غيره[١]، وقد رأى فرعون في ذلك مفهوما منطقيا يرد به على مفهوم موسى عليه السلام السابق، وجعله بصيغة استفهامية ذات تأثير طرازي ملزم برد معين من موسى عليه السلام، ويرجو منه فرعون أن يُظهر ضعف موسى عليه السلام، وعدم واقعية دعوته وطلباته، فرد عليه موسى عليه السلام في شجاعة وثقة وثبات بمفهوم جديد، حيث سلَّم (بأنه ليس له علم بهذا الأمر) غير أنه جعل هذا التسليم مدرجة لمفهوم جديد من مقتضيات مفهوم (الله هو رب العالمين)، وهو (تمام علم الله تعالى وإحاطته)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [٢]، وهذا المفهوم ليس مناقضا تمام المناقضة لمفهوم فرعون، حيث فيه تسليم جزئي بمفهوم فرعون، دون أن يعني ذلك ضعفا من موسى عليه السلام، وإلا لبنى عليه فرعون، وهاجمه بحجج أخرى مستغلا حالة الضعف تلك، بل إن هذا الرد ينطوي على ذكاء من موسى عليه السلام؛ إذ إن هذا التسليم الجزئي قد خفَّف إلى حد ما من حدة الحجاج التي تصاعدت بينهما، وفيه أيضا تشجيع لفرعون على التسليم بحجج موسى عليه السلام، كما يفعل موسى نفسه، وهو في الوقت نفسه يعرّف الحاضرين بصفة من صفات الله تعالى، وهي شمولية علمه وإحاطته، وأن مرد تمام العلم إليه، وليس لبشر أن يدعي ذلك لنفسه، حتى وإن كان رسولا.

وقد أدرك موسى عليه السلام تربص فرعون بمفاهيمه الحجاجية ورغبته الشديدة في التفلت منها، فعاد إلى المفاهيم المادية التي لا يمكن لفرعون نكرانها، فزاده مفهوما جديدا أقرب من واقع حياة الناس، وأسهل في الإدراك، وأجدر أن يعترف به، كما في

---

١ – تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ، ج ٥، ص ٢٦٣.

٢ – طه: ٥٢.

قوله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[1]...فسُقط في يد فرعون، ولم يستطع الرد على ذلك، ولا أن يأتي بمفهوم جديد يفند به مفاهيم موسى عليه السلام، فلجأ إلى التهرب مرة ثانية، فتوجه إلى ملئه بالحديث ساخرا من موسى عليه السلام، متهما إياه بالجنون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، فعاجله موسى عليه السلام بمفهوم مادي جديد مستغلا حالة الضعف والاضطراب التي تملكته؛ ليدفع فرعون وملأه دفعا إلى التسليم ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] وعقب الآية بقوله (إن كنتم تعقلون) تقريعا لهم لعدم إعمالهم العقل فيما يسوقه لهم من مفاهيم. وكان لتصعيد موسى عليه السلام في حجاجه أن صعّد فرعون كذلك من ردوده، فتحول من السخرية إلى التهديد بالسجن، مستخدما أكثر من مؤكِّد، على نحو يواري ضعفه، ورغبته الشديدة في تخويف موسى عليه السلام؛ لعله يتوقف عن حجاجه، كما في ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[4]، وبذلك يكون فرعون قد وضع حدًّا لهذه الجولة، وأنهى الحجاج بالمفاهيم القولية بين الطرفين، وهذا التدرج يوضح تنامي القوة الحجاجية لموسى عليه السلام من ناحية، وتهاوي قوى فرعون وملئه واستغلاق الأمر عليهم من ناحية أخرى. وهذا التهديد الأخير من فرعون إنما يكشف عن سياسة فرعون في إخضاع الناس له، فهو يعبدهم له قسرا بالتهديد والوعيد والتنكيل، وليس عن طريق العقل والإقناع كما يفعل موسى عليه السلام في تعبيد الناس لرب العالمين. وقد أدرك

---

[1] – **طه: ٥٣، ٥٤.**

[2] – **الشعراء: ٢٧.**

[3] – **الشعراء: ٢٨.**

[4] – **الشعراء: ٢٩.**

موسى عليه السلام أن الحجاج بالمفاهيم القولية لم يعد ذا جدوى مع فرعون، فلجأ إلى الآيات والمعجزات التي تُخضع العقل، وهي تناسب فئة المعاندين والمتكبرين الذين لا يُعملون عقولهم تكبرا أو جهلا.

الجولة الثالثة: الحجاج بالمفاهيم الفعلية (الآيات والمعجزات):

لما أدرك موسى عليه السلام أن فرعون قد ردَّ مفاهيمه العقلية بالقوة والتهديد، فقد لجأ هو الآخر إلى منطق القوة أيضًا في تحد واضح لقوة فرعون، مستعينا بالمفاهيم الفعلية إلى جانب ما سبق من مفاهيم قولية، فقد بدأ موسى عليه السلام هذه الجولة بسؤال ذي تأثير حجاجي عال، وفيه تحد كبير لفرعون لحمله على قبول الدخول في جولة جديدة من الحجاج حتى تكون الغلبة واضحة جلية، وفي هذا إشارة إلى قدرة موسى عليه السلام على توجيه الحوار، وإدارة أدواته الحجاجية، واستدراج فرعون، وعدم التفرع وراءه فيما ينزع إليه فرعون، حيث طرح موسى عليه السلام مفهوما جديدا بصيغة سؤال ملزم، إما أن يوافق عليه فرعون، أو يعلن هزيمته، كما في قوله تعالى (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ؟) فاضطر فرعون إلى الموافقة حتى لا يظهر بالضعف والإفلاس، ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1] وهذا المفهوم الذي يمثل نتيجة ذات طابع شرطي فيه خفة من فرعون، وغفلة منه؛ إذ رهن صدق موسى عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى بتنفيذه الآيات والمعجزات التي عرض موسى عليه السلام الإتيان بها، فإن استطاع موسى عليه السلام، فهو من الصادقين أمام الجميع، وإن لم يستطع فهو من الكاذبين، وفي هذا الأسلوب الشرطي تأثير طرازي حجاجي عال؛ لأنه يقرر النتيجة التي يستلزمها ويثبتها دون الحاجة إلى إقرار أو اعتراف من الخصم، هذا بالإضافة إلى الأثر الحاسم للمفاهيم الفعلية التي لا تدع للخصم فرصة للجدال، وهذا ما كان يريده

[1] – **الشعراء: ٣١.**

موسى عليه السلام؛ لأنه واثق مما في يده من معجزات وآيات، وقد أجرى الله تعالى على يدي موسى عليه السلام ما وعد به من آيات ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[1] وبذلك فقد أنجز موسى عليه السلام المفهوم الشرطي، وهو الإتيان بالمعجزات، فلزم فرعون وملأه جواب ذلك الشرط، وهو أن موسى عليه السلام من الصادقين، غير أن فرعون كعادته الجدالية والإنكارية، كذّب بالمعجزات، وأبى أن يقرَّ بصدقه وبصدق ما جاء به ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾[2] وحاول من جديد التفلت من هذا المأزق بتوجيه الخطاب إلى ملئه متهما موسى عليه السلام بأنه ساحر ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[3]. ويبدو أنه رأى تأثيرا للآيات التي أتى بها موسى عليه السلام في الملأ حوله، فأراد أن يلبّس عليهم الأمر، ويزيل هذا التأثر بتخويفهم والاستخفاف بهم، حيث قال ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[4]، وقد أراد فرعون من ذلك المفهوم الذي يخاطبهم به أن يصطف معهم، وأن يستميلهم إليه؛ ليتأكد من تأييدهم له، وبقائهم على اتباعهم له، فعقّب بقوله (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟) في محاولة منه لتقليدهم زمام الجدال مع موسى عليه السلام؛ ليتحملوا عنه شيئا من العجز والاضطراب، وليجد هو فرصة للمناورة من خلفهم، لعل جلبة أصوات الملأ تربك موسى عليه السلام، وتواري ضعف فرعون. وقد نجحت حيلة فرعون فتعالت أصوات الملأ بلسان فرعون، فرددوا ما كان يقول من مزاعم، يجادلون بها موسى عليه السلام، فـ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

---

[1] – **الشعراء: ٣٢، ٣٣.**

[2] – **طه: ٥٦.**

[3] – **الشعراء: ٣٤.**

[4] – **الشعراء: ٣٥.**

عَلِيمٌ* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[١]. وقد رد عليهم موسى عليه السلام بمفهوم جديد في صيغة استفهام، منكرا عليهم جميعا ادعاءهم بأن ما جاء به من الحق هو سحر، مع علمهم بأن السحر لا ينفع، وأنه لا يفلح الساحرون فيما يدعون إليه، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾[٢] غير أن الملأ على أخلاق فرعون من جدال ومراوغة، فمفهوم موسى عليه السلام يلزمهم بأن يختاروا ما بين أنّ ما جاء به موسى عليه السلام حق أو أنه سحر، غير أنهم لم يختاروا هذا ولا ذاك؛ لأن قوة الآيات والمعجزات التي أتى بها موسى عليه السلام منعتهم من القول ببطلانها، فما كان أمامهم إلا المراوغة والتفلت من الاعتراف بصدقها، وذلك بالطعن في الغاية التي دفعت موسى عليه السلام إلى موقفه وادعاءاته وطلباته، وهم بذلك يطعنون في أحد المفاهيم التي يقتضيها مفهوم (موسى رسول الله) وهذا المفهوم هو (أن رسل الله لا يبغون من دعوتهم إلى الله الأجرَ والجزاء من الناس، وإنما يسعون إلى الإصلاح قدر استطاعتهم)، فزعم الملأ أن موسى عليه السلام يبغي من وراء دعوتهم الزعامةَ والكبرياء في الأرض ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقد أدرك موسى عليه السلام حيلة فرعون في تشتيت الحوار وتحويل دفته بعيدا عنه، فأراد موسى عليه السلام أن ينهي الحوار بتأكيده على مفهوم أن ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى، وهو بذلك يؤكد غلبته عليهم، ويؤكد أن موقفهم ما هو إلا عناد وجحود، كما أكد على مفهوم عاقبة الظالمين المكذبين تخويفا لهم لعلهم يتقون أو

---

[١] – **الشعراء: ٣٥، ٣٦.**

[٢] –**يونس: ٧٧.**

[٣] – **يونس: ٧٨.**

يعقلون، وأراد أن يختم كلامه بتذكيرهم بجانب آخر من جوهر قضيته، وهو مفهوم أن الله يعلم من جاء بالهدى، ومن جاء بالظلم والافتراء. ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

غير أن غلبة موسى عليه السلام، ورجحان كفته قد أغاظت فرعون، فنادى في قومه بمفاهيم حجاجية جديدة؛ لعله يزيل ما تسرب إلى نفوسهم من شكوك في ألوهيته لهم، كما في ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، ووصل فرعون إلى قمة تكبره بمفهوم ادعاء الربوبية فقال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[3]، وقد جاءت هذه الادعاءات من فرعون؛ لتذكير الناس بربوبيته، وسيطرته على مصر التي زلزلتها مفاهيم موسى عليه السلام التي رسخ فيها لألوهية الله تعالى وقدرته وعلمه. ثم أراد فرعون أن ينهي هذه المحاجة بقتل موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[4]، وقد عكس هذا المفهوم مدى اضطراب فرعون، وخوفه من حجج موسى، وما أتى به من آيات ومعجزات، ويتضح ذلك في أنه توجه بهذا المفهوم إلى الملأ طلبا للاستشارة، وانتزاع التأييد منهم، وكان يمكنه أن يأمر جنوده مباشرة بتنفيذ القتل، دون أن يبرر ذلك بخوفه من أن يبدل دينهم، أو أن يفسد في الأرض، كما أراد فرعون من قوله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾[5] أن يختبر منعة موسى عليه السلام، ومساندة ربه له، وقوته في حمايته، وهذا

---

[1] – **القصص: ٣٧.**

[2] – **القصص: ٣٨.**

[3] – **النازعات: ٢٤.**

[4] – **غافر: ٢٦.**

[5] – **غافر: ٢٦.**

المفهوم يضاد بتأثيره الطرازي أحد المفاهيم التي يقتضيها مفهوم (موسى رسول الله) وهو مفهوم (نصرة الله تعالى رسله وتأييدهم).

ولما رأى موسى عليه السلام من تهديد فرعون له بالقتل خطرا على إنجازه مهمة إخراج بني إسرائيل، وما استشعره من رغبة فرعون في اختبار قوة الله في حماية موسى عليه السلام من بطشه، فقد أجابهم موسى عليه السلام دون خوف أو تردد بمفهوم جديد فيه مزيد من التحدي، واللجوء إلى الله تعالى، وهو مفهوم تؤكد تأثيراته الطرازية مفهوم (نصرة الله تعالى لرسله وتأييدهم)، وتضاد مفهوم (تهديد فرعون له بالقتل)، قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[١]، حيث استعاذ بالله تعالى من شرهم، وكرر عليهم موسى عليه السلام في هذا الموقف الصعب جوهر دعوته في قوة وثقة وثبات، حيث ذكرهم بالمفهوم القاعدي لمقولة موسى عليه السلام، وهو (أن الله تعالى هو رب موسى ورب فرعون وملئه)، واصفا إياهم بالكبر وعدم الاستماع لصوت العقل والحكمة. وقد فهم الملأ مقصد فرعون من طلبه ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾[٢]، أنه مجرد التهديد، ورأوا خشيته من عاقبة الإقدام على تنفيذ هذا التهديد، كما أخافتهم ثقة موسى عليه السلام وثباته وعدم خوفه من تهديد فرعون، فأوجدوا لفرعون مخرجا مؤقتا من هذا المأزق، فطلبوا منه أن يرجئ الأمر لحين جمع السحرة، ومناجزتهم موسى عليه السلام ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ* يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٣]. وهكذا تحققت الغلبة لموسى عليه السلام على

---

١ – **غافر: ٢٧.**

٢ – **غافر: ٢٦.**

٣ – **الشعراء: ٣٦، ٣٧.**

فرعون في هذه المقولة بثقته في نصر الله له، وبصدق ما يدعو إليه، وبثباته في وجه التهديدات.

الجولة الرابعة (حجاج موسى عليه السلام مع السحرة):

رأى فرعون في مقترح الملأ إنقاذا له من الموقف الصعب الذي يقتضي إما أن يسلم لموسى عليه السلام، أو أن يكابر ويعاند، ولا يرفع ذلك عنه الهزيمة، ولا يمنع تسرب دعوة موسى عليه السلام إلى الناس، أو أن يضطر إلى قتل موسى عليه السلام، وتحمل ما قد يصيبه من الإقدام على مثل هذه الفعلة. فأخذوا يرتبون مع موسى عليه السلام لهذه المواجهة الحاسمة بينه وبين السحرة، مع تحديد موعد لتلك المواجهة لا يُخلفه أي منهما، ومكان مستو يراه جميع الحضور، كما في ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾[1]، وقد أرادوا من هذا المفهوم الذي يحدد الزمان والمكان تخويف موسى عليه السلام وإرباكه من ناحية، وإخفاء هزيمتهم وضعفهم من ناحية ثانية، وتعليق الغلبة النهائية على تلك المواجهة بين موسى عليه السلام والسحرة، وليس بين موسى عليه السلام وفرعون مباشرة من ناحية أخرى. وقد وافقهم موسى عليه السلام على تلك المواجهة بمزيد من التحدي، حيث عيّن لهم وقت الضحى من يوم الزينة، حتى يضمن بلوغ دعوته وغلبته أكبر عدد ممكن من الناس، وهو بذلك المفهوم قد أبطل ما كانوا يقصدون إليه من تخويف موسى عليه السلام من هذه المواجهة ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[2]. وقد ظن الملأ أنهم قد نجحوا في جعل الحجاج والمواجهة بين موسى عليه السلام والسحرة، وليس بين موسى عليه السلام وفرعون، وقد قبل موسى عليه السلام بذلك؛ لأن في

---

[1] – طه: ٥٨.

[2] – طه: ٥٩.

الانتصار على السحرة تأكيدا لصدق الآيات والمعجزات التي جاء بها، ومن ثم دحض الشبهات التي جادل بها فرعون وادعى بأنه ساحر، وفي هذا تثبيت لغلبة موسى عليه السلام على فرعون، وتأكيد لصدق دعوته.

وأخذ فرعون وملؤه يعدون لتلك المواجهة، ويُعلمون بها الناس، ويحثونهم على حضورها، ويرصدون الجوائز والعطايا للسحرة؛ تشجيعا لهم على الغلبة على موسى عليه السلام، كما في ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ* لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[١] وقال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٢].

وقد بدأ موسى عليه السلام مواجهته مع السحرة بإنذارهم وتحذيرهم بلهجة حجاجية شديدة، وبمفاهيم ذات تأثيرات طرازية عالية؛ لأن المقام لم يعد يتسع لمزيد بيان وتوضيح، فأنذرهم مباشرة بمفهوم يبين عاقبة ما سوف يُقْدِمون عليه من فعل السحر ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[٣]، وقد اعتمد موسى عليه السلام في ذلك على ما بلغ السحرة من دعوته، ومحاجته لفرعون وملئه وغلبته عليهم، ولذلك أثر فيهم مفهوم موسى عليه السلام، وأربك حساباتهم وخططهم، فاختلفوا وتنازعوا الرأي، وأسروا النجوى بينهم، فلما رأى الملؤ منهم ذلك ذكَّروهم بالحجج الباطلة التي يتهمون بها موسى عليه السلام من أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم، وأن ما أتى به موسى عليه السلام ماهو إلا سحر، يمكنهم أن يتغلبوا عليه، ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى* قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ

---

[١] – **الشعراء: ٣٩، ٤٠.**

[٢] – **الشعراء: ٤١، ٤٢.**

[٣] – **طه: ٦١.**

يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[1]، ولذلك شجعوهم على أن يجمعوا حيلهم وكيدهم، وذكَّروهم بعاقبة غلبهم، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[2]. وقد تجلى من موقف السحرة أنهم مترددون، وأنهم خائفون مما بلغهم من أخبار حجاج موسى عليه السلام مع فرعون. ثم استجمع السحرة قواهم، وتولوا زمام المبادرة، فخيروا موسى عليه السلام بين أن يبدأ بإلقاء ما معه، أو أن يبدءوا هم، فاختار موسى عليه السلام أن يلقوا هم أولا، وجاء ذلك في لغة كلها ثقة فيما أيده الله به، وتقليل مما في أيدهم من أباطيل، والحجاج في هذه المقولة اعتمد – إلى جانب المفاهيم القولية– على المفاهيم الفعلية ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾[3]، ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[4]، ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[5] وقد سحروا أعين الناس وخيلوا لهم أن حبالهم وعصيهم تسعى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[6]، وقد كان هذا السحر مخيفا فأرهبوا به الناس ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[7]، وقد وجد موسى عليه السلام في نفسه خيفة من هذا السحر، ولكن الله طمأنه، وثبته، وبشره بالغلبة عليهم ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾[8] فلما اطمأن موسى عليه

---

[1] – طه: ٦٢.

[2] – طه: ٦٤.

[3] – طه: ٦٥.

[4] – الشعراء: ٤٣.

[5] – الشعراء: ٤٤.

[6] – طه: ٦٦.

[7] – الأعراف: ١١٦.

[8] – طه: ٦٧.

السلام أراد أن يغتنم فرصة اتجاه الأنظار إليه، وإنصات الناس لكلامه، وتركيزهم مع أفعاله، فأعلمهم جانبا من جوهر دعوته، وذكَّرهم بالمفهوم القاعدي لمقولته وهو (أن الله هو رب العالمين)، فحاجهم بالمفاهيم: (أنه يستعين بالله تعالى)، و(أن الله غالب على أمره)، و(أنه يحق الحق، ويبطل الباطل)، وقد عمل على تأكيد هذا المفهوم من خلال عقده مقارنة بين ما جاء به السحرة من باطل، واستعانتهم بفرعون، وبين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام من عند الله تعالى، وأنه يستعين بالله تعالى ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ* وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[١]. وموسى عليه السلام يحاول بذلك ربط نهايات المقولة بالمفهوم القاعدي، والتركيز على جوهر دعوته حتى لا ينسى الناس، ويتشتتوا وراء التفاصيل، وبهرجة موقف المواجهة، وهذا يضمن للمقولة الحجاجية ترابطا وتماسكا.

وجاء دور موسى عليه السلام فأوحى الله إليه أن يلقي عصاه، فإذا هي تلقف السحر الذي صنعوا ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٢] ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٣]، فكانت الغلبة واضحة جلية لموسى عليه السلام على السحرة، ومن ورائهم فرعون وملؤه أمام الحضور جميعهم، وتمايزَ الحق من الباطل، فأصبح الحق الذي يدعو إليه موسى عليه السلام أبلج، معلوما لجميع الحاضرين، والباطل الذي يزعمه فرعون ضعيفا متهافتا، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا التمايز الشديد بين الحق والباطل في قوله تعالى ﴿فَوَقَعَ

---

[١] – **يونس: ٨١، ٨٢.**

[٢] – **طه: ٦٩.**

[٣] – **الشعراء: ٤٥.**

الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[1]. كما تباينت ردود فعل الحاضرين المشاركين والمشاهدين لهذه الأحداث، فمنهم من بقي على اتباعه فرعون، وهم ملؤه وقومه، ومنهم من آمن برب موسى وهارون عليهما السلام، وهم السحرة الذين تحلوا بالشجاعة والعلم، وأعلنوا إيمانهم بالله تعالى ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[2]، مع تهديد فرعون وملئه لهم، واتهامهم بالتآمر مع موسى عليه السلام، وتكرار نفس الحجج الواهية ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]، ويلاحظ كذلك تصعيد درجة العقوبة والتهديد؛ دلالة على شدة الهزيمة التي لحقت بمعسكر فرعون وثباتها عليهم.

---

[1] – **الأعراف: ١١٥.**

[2] – **الشعراء: ٤٧، ٤٨.**

[3] – **الشعراء: ٤٩.**

المبحث الثالث

التأثيرات الطرازية والمفهوم القاعدي للمقولة

جعلت روتش من مبادئ نظريتها الموسعة ولاسيما على مستوى البعد الأفقي أن تترابط المفاهيم فيما بينها عن طريق التأثيرات الطرازية، التي تسمح بتوالد المفاهيم بعضها من بعض، عن طريق علاقات دلالية متنوعة، وتحقق بذلك الترابط المشروط بين عناصر المقولة الواحدة، على نحو ما سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول من هذه الورقة، ويهتم هذا المبحث بتناول مفهوم هذه التأثيرات الطرازية، وخصائصها، وآثارها على المقولة الحجاجية، وفق ما يلي:

أولا: مفهوم التأثير الطرازي في المقولة الحجاجية:

التأثير الطرازي هو الطاقة الكامنة في المفهوم، التي تمكنه من إفساح المجال لإنتاج مفهوم جديد معين دون سواه من المفاهيم، عن طريق إحدى العلاقات الدلالية، على نحو يؤدي إلى تحديد وجهة الاشتقاق الدلالي داخل المقولة، وتتمثل تلك الطاقة الكامنة في السمات الدلالة التي يتألف منها المفهوم بما يشمل أبعادها المعجمية والتركيبية والتداولية[١]، وفي ضوء ذلك يمكن أن نتبيَّن ملامح الوحدة الأساسية التي تتكون منها المقولة الحجاجية، فهي تتكون من مفهومين، بينهما علاقة دلالية، يمكن

---

[١] –يتمثل البعد المعجمي في استخدام كلمات دون أخرى، كما اتضح في استخدام فرعون كلمة (الكافرين) واستخدم موسى عليه السلام كلمة (الضالين) بدلا منها، ويتمثل البعد التركيبي في توظيف بعض الصيغ والأساليب ذات التأثير الطرازي المرتفع، مثل: صيغ الاستفهام، والجمل الشرطية، والجمل الاسمية، والمؤكدات، ويتمثل البعد التداولي في توظيف المقام غير اللغوي المحيط بالحدث الحجاجي، كالحضور، والزمان والمكان، ونفوذ السلطة، وكذلك التاريخ بما يشمله من أحداث ووقائع.

تسمية المفهوم الأول منهما بالمفهوم المصدر، وهو ذلك المفهوم الذي يمتلك تأثيرا طرازيا، وهو الأقوى من بين مفهومي الوحدة الطرازية، أما المفهوم الآخر فهو المفهوم الهدف، وهو المفهوم الذي يتلقى التأثير الطرازي الوارد إليه من المفهوم المصدر عن طريق العلاقة الدلالية، وقد يرتبط المفهوم المصدر الواحد بأكثر من مفهوم هدف، وقد يمتد المفهوم الهدف إلى مفهوم آخر، مكونا وحدة طرازية جديدة، يكون هو فيها المفهوم المصدر، وهكذا تتمدد شبكة المفاهيم مكونة المقولة المترابطة، على نحو يحقق أغراضها التواصلية الحجاجية. ومن خصوصيات المقولة الحجاجية أن المفهوم المصدر قد يكون في أحد مقولتي الحجاج، ويكون المفهوم الهدف في المقولة الأخرى، ويتحقق بذلك التداخل والترابط بين المقولتين الفرعيتين المكونتين للمقولة الحجاجية الكبرى.

ويتباين التأثير الطرازي للمفهوم المصدر في المقولة الحجاجية وفق مقصدية منشئه، فقد يكون تأثيره داعما، حيث يقتضي مفاهيم أخرى تدعمه وتؤكده، أو توضحه، أو تعلله... إلخ، ويحدث هذا بين مفاهيم المقولة الواحدة لأحد طرفي الحجاج، مثل: التأثير الطرازي للمفهوم المصدر (الله رب العالمين)، فقد ارتبط بعدد من المفاهيم الهدف التي تؤكده، وتمثل لقدرة الله تعالى، نحو: أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما، وأنه خلق المشارق والمغارب، وأنه أنزل المطر وأخرج المرعى، وأن علمه محيط بكل شيء، وأنه ينصر رسله، ويهلك أعداءه ...إلخ. كما يمكن أن يكون هذا التأثير الطرازي هداما إذا كان ناقضا لأحد المفاهيم في المقولة الأخرى، ويقع هذا بين المفاهيم التي تنتمي إلى المقولتين المتدافعتين في المقولة الحجاجية العامة، ومن أمثلة ذلك: نقض مفهوم (فرار موسى عليه السلام من فرعون مدة عشر سنوات) الوارد في مقولة موسى عليه السلام لمفهوم (استحقاق موسى عليه السلام عقوبة القتل) الوارد في مقولة فرعون، ومثل محاولة فرعون بفهوم (كيف تلزم دعوة موسى من لم تدركه من

آبائهم الأولين) أن يهدم ما يبلغهم به موسى عليه السلام من مفهوم (أن الله تعالى هو رب فرعون وملئه وآبائهم الأولين).

ثانيا: التماسك الطرازي في المقولة الحجاجية:

يتحقق التماسك الطرازي للمقولة الحجاجية من خلال تماسك بنيتها الداخلية على بعديها العمودي والأفقي، ويتمثل البعد العمودي في تعيين مفهوم قاعدي للمقولة، وإبرازه سواء بكثرة تكراره أو بكثرة الإحالة إليه، أما البعد الأفقي فيتمثل في الترابط الدلالي، والتسلسل المنطقي بين مفاهيم المقولة اللذين تحدثهما التأثيرات الطرازية لبعض المفاهيم، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يلي:

- **محورية المفهوم القاعدي للمقولة الحجاجية:**

بادر موسى عليه السلام إلى تحديد ذلك المفهوم القاعدي الذي يمثل بؤرة تئول إليها كل مفاهيم المقولة على نحو مباشر أو غير مباشر، فقد جعل موسى عليه السلام المفهوم القاعدي لمقولته هو (أن الله هو رب العالمين)، وكان فرعون يجتهد في نقض هذا المفهوم، والتفلت منه إما بالمغالطة، أو المراوغة، أو السخرية، أو التهديد بالسجن ثم بالقتل؛ من أجل تفكيك المقولة وإفشالها في الوصول إلى غايتها الإقناعية، وفي المقابل نجد موسى عليه السلام دائما ما يبرز هذا المفهوم، ويحيل إليه أو إلى أحد المفاهيم التي يقتضيها، وهذا هو ما ضمن لمقولته تماسك البناء، وقوة التأثير.

ومن الأمثلة التي ربط فيها موسى عليه السلام أطراف المقولة بالمفهوم القاعدي للمقولة بعد أن انحرف بها فرعون قصدا منه إلى تشتيت موسى عليه السلام وتفكيك مقولته، ما يلي:

- أن موسى عليه السلام بعد أن أبطل مغالطة فرعون باستحقاقه عقوبة القتل عن طريق فراره منهم عشر سنين، أردف ذلك بمفهوم آخر هدفه تحقيق ذلك الترابط مع المفهوم القاعدي وهو ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [1].
- استعاذة موسى عليه السلام بالله تعالى عندما هدده فرعون بالقتل ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[2] وهو بذلك ربط الحوار ثانية بالمفهوم القاعدي، وهو (أن الله هو رب العالمين)، وعمل على ترسيخ مفاهيم أخرى مقتضاة في أذهان المستمعين، كقدرة الله تعالى، ونصرته رسله، وتغليبه الحق على الباطل.
- تذكير السحرة بالمفهوم القاعدي، وما تستلزمه مخالفته من عقاب ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [3].
- تكرار موسى عليه السلام التصريح بلفظ الجلالة (الله) يعيد استحضار المفهوم القاعدي في أذهان المستمعين، ويزيده رسوخا، كما في ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[4]

---

[1] –**الشعراء: ٢١.**

[2] – **غافر: ٢٧.**

[3] – **طه: ٦١.**

[4] –**يونس: ٨١–٨٢.**

- إحالة موسى عليه السلام العلم بحال القرون الأولى لله تعالى، مع دعم ذلك بعدد من الصفات الجديدة لله تعالى، كما في ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [١]

- **تسلسل مفاهيم المقولة وعدم انقطاعها:**

جعلت روتش من مبادئ نظريتها الموسعة على المستوى الأفقي أن تترابط المفاهيم فيما بينها بفعل التأثيرات الطرازية التي تملكها بعض المفاهيم، بحيث يكون كل مفهوم مرتبطا مع مفهوم آخر على الأقل بإحدى العلاقات المنطقية، غير أن المقولة الحجاجية ذات الطابع التدافعي كثيرا ما يلجأ فيها الخصم إلى قطع ذلك التسلسل؛ بغرض تفكيك المقولة الحجاجية، وإفشال الحوار الحجاجي في أن يصل إلى غايته الإقناعية، ويكون هذا القطع من طرق ثلاث:

الأولى: أن يلتقط الخصم مفهوما فرعيا، ويرتب عليه مفاهيم أخرى تبعده عن المفهوم القاعدي للمقولة. فعندما أراد موسى عليه السلام أن يؤكد مفهوم (ربوبية الله تعالى لقوم فرعون وآبائهم الأولين) في ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢] التقط فرعون المفهوم الفرعي (آبائكم الأولين) وعظَّم منه، فجعله أكثر عمومية (القرون الأولى)، ومحل تساؤل وجدال، كما في ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[٣]، وبنى له مسارا منطقيا جديدا يبتعد شيئا فشيئا عن المفهوم القاعدي، وقد التفت موسى عليه السلام لذلك

[١] طه: ٥٢.

[٢] الشعراء: ٢٦.

[٣] – طه:٥١.

فوضع نهاية لهذا المسار الفرعي بمفهوم (عدم العلم به، وإحالة العلم به إلى الله تعالى) كما جاء في قوله تعالى ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[1].

الثانية: أن ينحرف الخصم عن المفهوم والقضية إلى صاحب القضية، ساخرا، أو متهما، أو مهددا، ولذلك فإن موسى عليه السلام ما كان يلتفت إلى مثل ذلك، وكان يتجاهل هذه المفاهيم، ويواصل هجومه بالمفاهيم ذات الصلة بالمفهوم القاعدي، ففي أثناء ذكر موسى عليه السلام مفاهيم تعرّف بالله تعالى وقدرته، حاول فرعون أن يقطع تسلسلها المنطقي بمفهوم يتهم به شخص موسى عليه السلام، مبتعدا عن المفهوم القاعدي للمقولة، كما في ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، غير أن موسى عليه السلام لم يلتفت إلى ذلك، وواصل مفاهيمه ذات الصلة بالمفهوم القاعدي التي تعرّف بالله تعالى ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

الثالثة: التحول بالحوار إلى أطراف أخرى ثانوية، وكثيرا ما لجأ فرعون إلى هذه الحيلة، عن طريق تحويل الحوار إلى قومه تهربا من تأثير مفاهيم موسى عليه السلام عليه، كما في ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[4] و﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) و(قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[5].

---

[1] –طه: ٥٢.

[2] – الشعراء: ٢٧.

[3] –الشعراء: ٢٨.

[4] –الشعراء: ٢٥.

[5] –الشعراء: ٢٧

ثالثا: التأثير الطرازي والمفاهيم المنقطعة:

تعد المفاهيم المنقطعة من خصوصيات المقولة الحجاجية، حيث تتوقف الوحدة الطرازية عند المفهوم المصدر، ولا تمتد إلى المفهوم الهدف بسبب القوة الطرازية للفهوم المصدر، تلك القوة التي تفقد الخصم القدرة على توليد مفهوم مناسب للمفهوم المصدر، ويأخذ هذا الانقطاع أشكالا، فإما أن يتوقف تنامي المفهوم المصدر إلى مفهوم هدف أو أكثر، أو يراوغ الخصم بمفهوم هدف لا صلة منطقية له بالمفهوم المصدر المنقطع، ومن أمثلة ذلك في المقولة مفهوم (لله ملك السموات والأرض وما بينهما) الذي ساقه موسى عليه السلام لنقض مفهوم فرعون (وما رب العالمين؟)، حيث أعجزت قوة التأثيرات الطرازية الطرازية لهذا المفهوم فرعون عن مناقضته بمفهوم هدف مناسب له، فما كان منه إلا أن تهرب من ذلك بمفهوم آخر حاول به إقحام الملأ في الحجاج، وهو مفهوم (مخاطبة الملأ ودعوتهم إلى الاحتجاج والإنكار)، ومن ذلك أيضا لجوء فرعون إلى مفهوم هدف (تهديد موسى عليه السلام بالسجن والتنكيل)، ليس له علاقة منطقية بالمفهوم المصدر الذي حاجه به موسى عليه السلام وهو أن الله هو رب المشرق والمغرب وما بينهما. ومن أمثلة إهمال فرعون الرد على أحد مفاهيم فرعون، بحجة الانشغال بالرد على جزء منه، وبذلك لم يكن هناك تكافؤ بين المفهوم المصدر والمفهوم الهدف، حيث أهمل مناقضة مفهوم (الله رب فرعون وملئه). واكتفى بالرد على مفهوم (الله هو رب آبائهم الأولين)، وهو جزء من المفهوم المصدر الذي طرحه موسى عليه السلام والوارد في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[١].

[١] – **الشعراء: ٢٦.**

رابعا: التأثير الطرازي والمفاهيم المغالطة:

حرص موسى عليه السلام على أن تأتي مقولته خالية من المغالطات؛ تناسبا مع عظم القضية التي يدعو إليها، وسمو أخلاق الأنبياء، ويتضح ذلك من تسليمه الجزئي لبعض المفاهيم التي ساقها فرعون، وهي (قال علمها عند ربي) والثاني (فعلتها إذا وأنا من الضالين). أما فرعون فقد عمد إلى إحداث عدد من المغالطات؛ عله يربك بها موسى عليه السلام أو يغافله، فيستدرجه إلى الاضطراب والتناقض، ومن صور تلك المغالطات المفهومية ما يلي:

- **تعميم المفاهيم للإفادة من مقتضياتها**، وذلك عن طريق إسقاط بعض المفاهيم المقيِّدة، كما في مفهوم تذكير فرعون موسى عليه السلام بمفهوم "فعلة القتل التي أقدم عليها موسى عليه السلام ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، حيث تعمد فرعون إسقاط المفهوم المقيِّد له، وهو فرار موسى عليه السلام منهم؛ حتى يتسنى له أن يحاج موسى عليه السلام بما يقتضيه من مفاهيم أخرى من قبيل (استحقاق موسى عليه السلام العقاب، وقلة شأن موسى عليه السلام، ومن ثم عدم أهليته للرسالة التي يتصدى لها). وقد فطن موسى عليه السلام إلى صنيع فرعون، فعمد إلى إظهار ذلك المفهوم المقيِّد؛ ليبطل به مغالطة فرعون، قال تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [2]، فقد استثمر موسى عليه السلام مقتضى هذا المفهوم المقيد في تصحيح مغالطة فرعون، وإبطال مقتضاها.

---

[1] – **الشعراء: ١٩.**

[2] – **الشعراء: ٢١.**

- **القياس الخاطئ**، حيث جعل فرعون ملكه لمصر مقابل ملك الله تعالى للسموات والأرض، وما بينهما كما في قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، حيث أراد فرعون أن يبث في أذهان قومه أن مفهوم (ملكيته لمصر وبسط سيطرته على أنهارها)؛ تقارع بذلك المفاهيم التي ذكرها موسى عليه السلام عن الله تعالى بأن له ملك السموات والأرض وما بينهما، وله ملك المشارق والمغارب. والمغالطة تكمن في تجاهل فرعون مفهومين مقيدين لمفهوم الملكية، أحدهما هو أن ملكية فرعون على جهة السيطرة والانتفاع، أما ملكية الله تعالى فعلى جهة الخلق والإيجاد من عدم، وشتان ما هما. والآخر الذي هو حجم الملكية واتساعها، فملكية الله تعالى تشمل السموات والأرض وما بينهما، أما ملكية فرعون فتشمل مصر والأنهار التي فيها.

ومن أمثلة ذلك أيضًا جعْل فرعون إنعامه على موسى عليه السلام بالإيواء والتربية مقابلا عادلا لما يوقعه على بني إسرائيل من تعذيب وتعبيد، وقد رد موسى عليه السلام ذلك بأن ما صُنع تجاه رجل واحد من معروف وإحسان، لا يُكافأ بما صنع لجماعة بأكملها من إيذاء وإساءة،[2] وقد كان هدف فرعون من ذلك هو إضعاف الحجة التي دفعت موسى عليه السلام للمطالبة بإرسال بني إسرائيل معه، وأن يفرق بين

---

[1] –**الزخرف: ٥١.**

٢ – تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج ٦، ص ١٢٤.

موسى عليه السلام وبني إسرائيل، فرد عليه موسى عليه السلام بأنه واحد منهم، يسوءه ما يسوءهم ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

- **استخدام مفاهيم ملبسة**، ومن ذلك استخدام فرعون كلمة الكافرين في قوله تعالى ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، حيث يمكن أن تدل كلمة (الكافرين) في هذا السياق على كفران النعمة وجحودها، وعلى عدم الإيمان بألوهية فرعون[2]، وقد أدرك موسى عليه السلام تلك المغالطة، فنحّى في رده كلمة (الكافرين) واستبدل بها كلمة (الضالين)؛ ليسد بها الطريق أمام مقتضيات حجة فرعون؛ حيث تعني كلمة (الضالين) أن موسى عليه السلام كان مفتقدا الاتصال بالله تعالى، وأنه كان ضالا عن تعاليمه وهداه، يقول ابن كثير: "وأنا من الضالين: أي قبل أن يوحَى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة"[3].

---

[1] –الشعراء: ٢٢.

- [2] –جعل الإمام الرازي من وجوه كلمة "الكافرين" "وأنت من الكافرين لفرعون وألوهيته، أو من الذين يكفرون في دينهم، فقد كانت لهم آلهة يعبدونها"، انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج ٢٤، ص ٤٩٦. وانظر أيضا: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ج١٣، ص ٩٥.

[3] – تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ج ٦ ، ص ١٣٧.

خامسا: التأثير الطرازي والمفاهيم المضمرة:

تعد المفاهيم المضمرة صورة من صور الجانب التداولي للحجاج، فكل طرف من طرفي الحجاج يقتصد في كلامه، ويركز على الأهم، حتى لا يعطي الطرف الآخر فرصة لالتقاط موضوع قليل الأهمية، والتغطية به على موضوع آخر أكثر أهمية، كما أنه يقدم المفاهيم الأهم؛ لأنه ربما ينتهي الحجاج في أي وقت، ولذلك قد يلجئه هذا المنهج المقتصد إلى إضمار بعض المفاهيم؛ لإفساح السياق لمفاهيم معينة أكثر أهمية، بشرط ضمان أن يفهم الخصم تلك المفاهيم المضمرة، وهي غالبا ما تكون مرتبطة بالمفاهيم الظاهرة بعلاقة الاقتضاء؛ حتى يسهل إدراكها من الخصم، ومن ذلك اقتضاء المفهوم الظاهر (موسى رسول الله) المفاهيم التالية التي أضمرها موسى عليه السلام في مقولته، وهي أن رسل الله تعالى:

- يعرّفون الناس بالله، ويهدون إلى الخير، ويدعون إلى الحق، ويرفعون عنهم الظلم.
- لا يتقوَّلون على الله كذبا.
- مزودون بمعجزات وآيات تؤيدهم وتحميهم.
- هم الغالبون في نهاية الصراع مع أهل الباطل.

المبحث الرابع

المقولة الحجاجية بين الهرمية والشبكية

تعتمد بنية المقولة في النظرية الموسعة على بعدين أساسيين، أحدهما عمودي، والآخر أفقي، أما البعد العمودي فيتمثل في علاقة التضمين التي تربط كل عنصر بما يندرج تحته، مشكِّلة بذلك بناء هرميًّا، قاعدته العناصر الفرعية، ورأسه العنصر الأعم، ويتوسطه المفهوم القاعدي، وتعتبر روتش أن المستوى القاعدي هو الأبرز في المقولة كلها، على نحو ما سبقت الإشارة إليه في المبحث الأول من هذه الورقة.

غير أن كثيرا من تفسيرات روتش التي قدمتها في نظريتها الموسعة تنطبق على ما يمكن تسميته بالمقولة المعجمية، التي تبحث في تعدد المعاني للكلمة في المعجم وتشعبها، على نحو يحاول تفسير ذلك التعدد، أما المقولة التي نحن بصددها الآن فليست من هذا النوع المعجمي، بل هي مقولة نصية خطابية حجاجية ذات طابع تداولي واضح، ولها خصائصها البنائية والغائية التي تتباين بها عن المقولة المعجمية، وهذا ما يفرض خصوصية في معالجتها في إطار النظرية الموسعة. ولا يمكن استثناء هذا النوع من المقولات، وإخراجه من دائرة ما تعالجه النظرية الطرازية الموسعة؛ لأنه بالفعل داخل فيها بوصفه عمليات تصنيفية ذهنية للمفاهيم يقوم بها طرفا الحجاج، "فأفكارنا وإدراكاتنا وحركاتنا وكلامنا نشاطات تقوم على المقْولة، فالمقْولة تُولد مع الإنسان وتصاحبه في حياته حتى الموت"[1]، فهي بذلك داخلة في مفهوم المقْولة، وفي إطار النظرية الموسعة، وإن احتاجت النظرية إلى بعض الزيادات؛ حتى توافق خصوصيات المقولة الخطابية الحجاجية التي نحن بصدد معالجتها.

---

١ – المقولة والطراز مقاربة في الدلالة العرفانية (زرايب العبيد) لنجوى بن شتوان أنموذجا، طاهر محمد بن طاهر, وثريا محمد الشفطي، ص ٢٠٥.

ويعد من أبرز ما تختص به المقولة الحجاجية ما يتصل بهرمية المقولة، وخصائص المفهوم القاعدي فيها، وموقعه منها، حيث يقتضي البناء الهرمي الذي أخذت به النظرية أن تترابط المفاهيم على مستوى البعد العمودي بعلاقة التضمين، بحيث يتضمن المفهوم الأعلى ما يندرج تحته من مفاهيم، ويعني هذا أن عدد مفاهيم كل مستوى من مستويات المقْولة تقل كلما اتجهنا إلى أعلى حتى نصل إلى المفهوم الأعم الذي يمثل قمة هرم المقولة[١]. غير أن هذا الفهم لا يناسب بنية المقولة الحجاجية؛ حيث لا تتقيد بتلك المواصفات الهرمية، فقد تأخذ أشكالا متنوعة، يجمعها أنها تبدأ من مفهوم يمثل بدايتها أو مركزها، ويكون ذا تأثير طرازي عال، يسمح لمنشئ المقولة أن يوجهه نحو مسارات دلالية معينة، تحقق غاياته الحجاجية، وقد يمتد المسار منها لأكثر من مفهوم، وربما لا يكون للمفهوم الأخير منها صلة مباشرة بالمفهوم الأول، كما لا تتقيد تلك المفاهيم في اشتقاقاتها الدلالية بمنهج يُلزمها بعلاقة التضمين، بحيث يصنع منها بناء هرميا، وإنما يترك اختيار العلاقة المناسبة لمقصد منشئ المقولة، ولتدافعية مفاهيم المقولتين المتناقضتين فيما بينهما، وغالبا ما تكون تلك العلاقة هي الاقتضاء، الأمر الذي يخلِّف لنا بناء شبكيًّا غير منتظم للمقولة الحجاجية، وليس بناء هرميا.

ولعل ما يمكن الاعتماد عليه من مبادئ النظرية الموسعة في تحديد المفهوم القاعدي في المقولة هو ما ذهبت إليه روتش من أن المفهوم القاعدي هو الأكثر مرجعية فيها سواء أكان بشكل مباشر أم غير مباشر. وفيما يلي مخطط توضيحي لمفاهيم المقولة يكشف عن شبكية بنائها، وبروز المفهوم القاعدي فيها، وتعدد الإحالات إليه:

---

١ – **المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، ص ٣٧٥.**

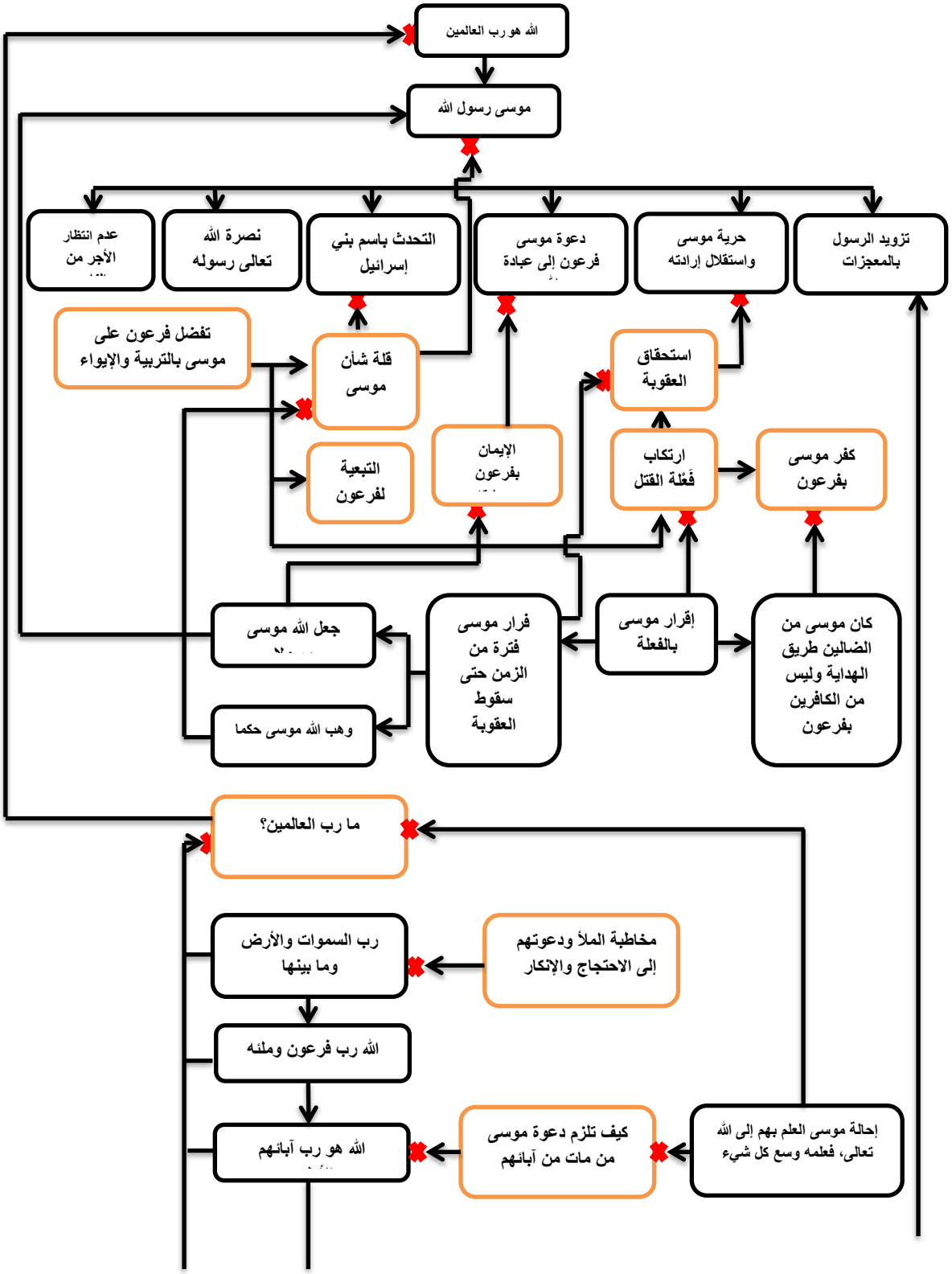
الله هو رب العالمين
موسى رسول الله
عدم انتظار الأجر من
نصرة الله تعالى رسوله
التحدث باسم بني إسرائيل
دعوة موسى فرعون إلى عبادة
حرية موسى واستقلال إرادته
تزويد الرسول بالمعجزات
تفضل فرعون على موسى بالتربية والإيواء
قلة شأن موسى
التبعية لفرعون
الإيمان بفرعون
استحقاق العقوبة
ارتكاب فَعْلة القتل
كفر موسى بفرعون
جعل الله موسى
وهب الله موسى حكما
فرار موسى فترة من الزمن حتى سقوط العقوبة
إقرار موسى بالفعلة
كان موسى من الضالين طريق الهداية وليس من الكافرين بفرعون
ما رب العالمين؟
رب السموات والأرض وما بينها
مخاطبة الملأ ودعوتهم إلى الاحتجاج والإنكار
الله رب فرعون وملئه
الله هو رب آبائهم
كيف تلزم دعوة موسى من مات من آبائهم
إحالة موسى العلم بهم إلى الله تعالى، فعلمه وسع كل شيء

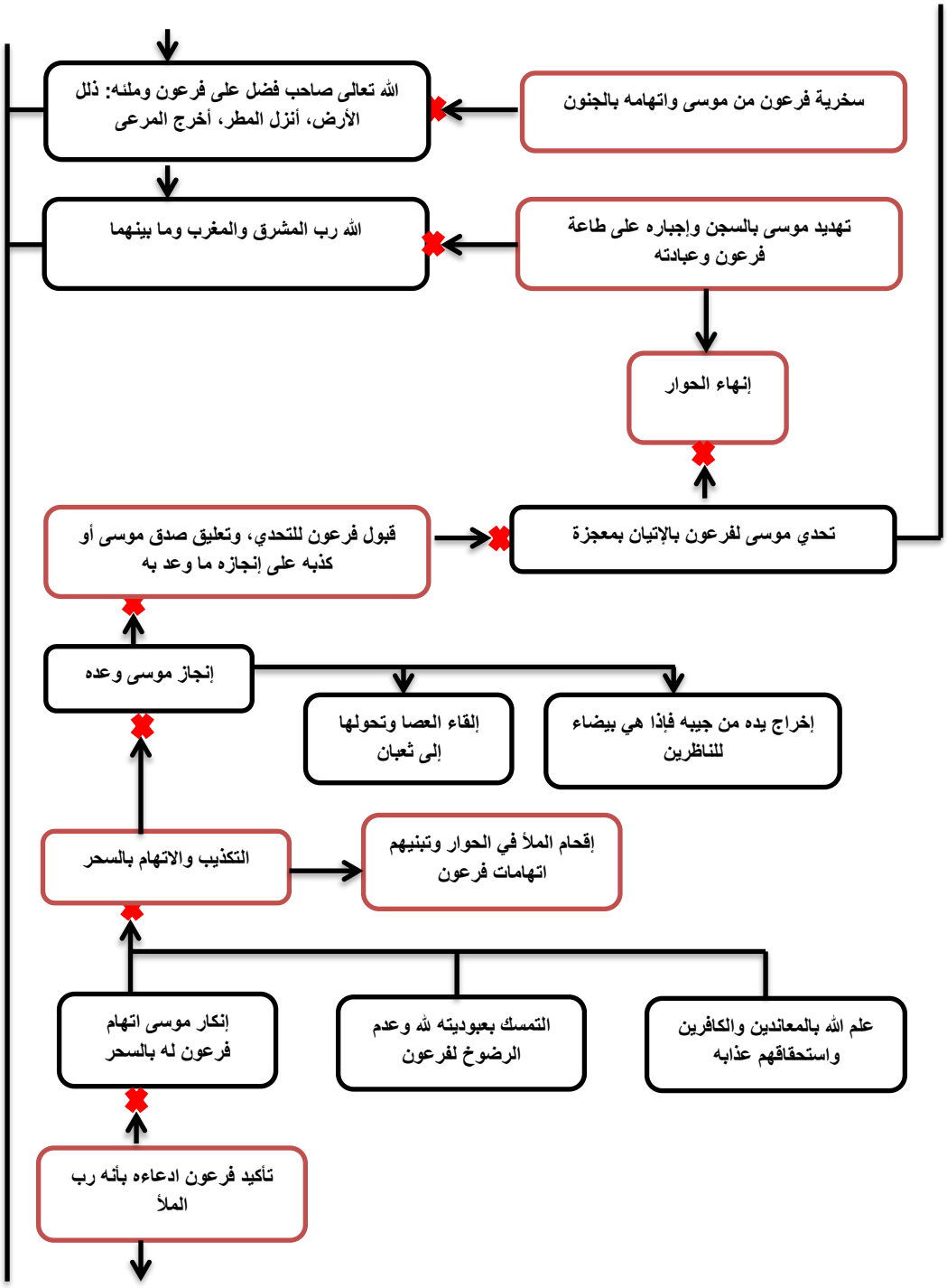
سخرية فرعون من موسى واتهامه بالجنون
الله تعالى صاحب فضل على فرعون وملئه: ذلل الأرض، أنزل المطر، أخرج المرعى
تهديد موسى بالسجن وإجباره على طاعة فرعون وعبادته
الله رب المشرق والمغرب وما بينهما
إنهاء الحوار
تحدي موسى لفرعون بالإتيان بمعجزة
قبول فرعون للتحدي، وتعليق صدق موسى أو كذبه على إنجازه ما وعد به
إنجاز موسى وعده
إلقاء العصا وتحولها إلى ثعبان
إخراج يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين
التكذيب والاتهام بالسحر
إقحام الملأ في الحوار وتبنيهم اتهامات فرعون
إنكار موسى اتهام فرعون له بالسحر
التمسك بعبوديته لله وعدم الرضوخ لفرعون
علم الله بالمعاندين والكافرين واستحقاقهم عذابه
تأكيد فرعون ادعاءه بأنه رب الملأ

اتهام موسى بأنه يبدل دينهم ويفسد في الأرض
استشارة فرعون ملأه في قتل موسى
استعاذة موسى بالله من تهديد فرعون
تأكيد موسى على ربوبية الله تعالى لفرعون وقومه
وصف فرعون بنكران العقل والتكبر والكفر بيوم الحساب
إنهاء الحوار
تدخل الملأ، وإرجاء التحدي مع موسى لحين لجمع السحرة
تجميع السحرة لمناجزة موسى
قبول موسى تحدي السحرة، واختيار الضحى من يوم الزينة
اقتراح مكان وزمان لا يتخلف عنهما أحد
تجميع الناس لمشاهدة التحدي
تخويف موسى السحرة بعاقبة الافتراء على الله
اختلاف السحرة وتنازعهم في أمر تحدي موسى
تشجيع السحرة وتوحيد كلمتهم ضد موسى
تخيير السحرة موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو أن يبدءوا هم
تشجع موسى واختياره أن يلقوا هم أولا
إلقاء السحرة حبالهم وعصيهم، وسحرهم أعين الناس واسترهابهم
تأكيد موسى على أن الله يبطل السحر ويحق الحق ويبطل الباطل
إلقاء موسى عصاه فإذا هي حية تسعى تلقف ما صنعوا
هزيمة السحرة وتأكدهم من أن ما جاء به موسى ليس سحرا، وإيمانهم بالله تعالى
غلبة موسى عليه السلام وانتصار دعوته، وهزيمة فرعون أمام جميع الحضور
عناد فرعون وتكبره، وتهديد السحرة، ومطاردة موسى وبني إسرائيل
نجاة موسى وبني إسرائيل وغرق فرعون وجنوده

ومما يمكن ملاحظته على مخطط البنية المفهومية للمقولة أعلاه ما يلي:

الملاحظة الأولى: افتتح موسى عليه السلام مقولته الحجاجية بمفهوم (الله تعالى هو رب العالمين)، واشتق منه مفهوم (موسى رسول الله)، الذي منحه تأثيرا طرازيا عاليا، فجعل منه مرجعا لعدد من المفاهيم المقتضاة، التي حاول فرعون دفعها ونقضها، فكان لذلك أن برز مفهوم (موسى رسول الله) وصار مفهوما قاعديا للجولة الأولى من المقولة.

الملاحظة الثانية: أخذَ مفهوم (الله تعالى هو رب العالمين) يعلو في تأثيره الطرازي تدريجيا، بعدما تحول إليه الاهتمام، وتوارى مفهوم (موسى رسول الله) بعدما فشل فرعون في نقضه، حيث أراد فرعون أن يتصدى للمفهوم الأهم في المقولة، وكان فرعون قد فطن إليه في بادئ الأمر، غير أنه أجل الرد عليه؛ لثقل مناقضته عليه مقارنة بمناقضة مفهوم (موسى رسول الله).

الملاحظة الثالثة: مثلت علاقة الاقتضاء والاستلزام الرباط الدلالي لمفاهيم المقولة، سواء كانت هذه العلاقة من قبيل الاقتضاء المثبِت، الذي يَثبُت فيه المفهومُ المصدر بدعم من المفهوم الهدف، وهذا واقع بين مفاهيم المقولة الفرعية الواحدة، أو من قبيل الاقتضاء الناقض الذي يَهدم فيه المفهومُ المصدر مفهوما هدفا أو أكثر، وهذا واقع بين مفاهيم المقولتين الفرعيتين المتدافعتين، وفي المقابل لم نلحظ علاقة التضمين سواء بين مفاهيم المقولة الفرعية الواحدة، أو بين مفاهيم المقولتين الفرعيتين اللتين تتكون منهما المقولة الحجاجية العامة، وهذا ما ينفي عنها هرمية البناء، ويرجح شبكية البناء، إلا أنها شبكية غير منتظمة؛ نظرا لعدم تساوي عدد المفاهيم التي يتألف منها كل مسار دلالي من تلك المسارات التي تتولد من المفهوم القاعدي، وإن كان الشائع في المقولة

الحجاجية قصر تلك المسارات؛ لأن الخصم غالبا لا يترك فرصة لخصمه لذكر أكثر من مفهوم دون مقاطعة أو تدخل منه، فإذا ذكر أحد الخصمين مفهوما بادر الآخر إلى نقضه، فيعاود الأول ذكر مفهوم جديد إما أن يكون ناقضا للمفهوم الناقض السابق، أو أن يكون مفهوما جديدا داعما لمفهومه السابق، فكلما ذكر موسى عليه السلام مفهوما معرفًا بالله تعالى مثل (رب السموات والأرض وما بينهما)، نقضه فرعون بمفهوم منطقي أو غير منطقي، فإن كان غير منطقي فإن موسى عليه السلام لا ينقض نقض فرعون خوف الوقوع في الجدال، والانحراف عن المفهوم القاعدي لمقولته، وإنما يترك نقض فرعون، ويأتي بمفهوم جديد يعرِّف بالله تعالى، يدعم به مفهومه الأول كما حدث مع مفهوم (الله رب فرعون وملئه). وإذا كان في نقض فرعون منطق، فإن موسى عليه السلام يهتم بنقض نقض فرعون، فيكون ذلك نقض للنقض، مثال ذلك: عندما عرَّف موسى عليه السلام الله تعالى بالمفهوم (الله رب آبائهم الأولين) فإن فرعون نقضه بمفهوم (كيف تلزم دعوة موسى مَن مات من آبائهم)، فإن موسى عليه السلام نقَضَ نقْض فرعون بمفهوم (إحالة موسى العلم بهم إلى الله تعالى، فعلمه وسع كل شيء)، ومفهوم موسى عليه السلام الأخير بالإضافة إلى أنه أبطل مفهوم فرعون، فإنه أعاد المسار مرة ثانية إلى المفهوم القاعدي، حيث أضاف صفة جديدة لله تعالى، وهي سعة علمه جل وعلا.

الملاحظة الرابعة: تداخل المقولتين الفرعيتين، واعتماد إحداهما على الأخرى في تحقيق الترابط بين المفاهيم، وعدم انقطاعها، فموسى عليه السلام يسوق مفهوما مثل (الله تعالى رب آبائهم الأولين) نقضا لمفهوم فرعون (وما رب العالمين؟) ثم ينقضه فرعون بمفهوم (كيف تلزم دعوة موسى من مات من آبائهم؟) فينقضه موسى عليه السلام بمفهوم (إحالة موسى العلم بهم إلى الله تعالى، فعلمه وسع كل شيء) وهو ينقض بدوره

مفهوم فرعون الأول (وما رب العالمين؟)، فهكذا اعتمد هذا المسار في تحقيق ترابط مفاهيمه على مفاهيم المقولتين الفرعيتين.

الملاحظة الخامسة: جاءت مفاهيم مقولة موسى عليه السلام أكثر ترابطية فيما بينها من مقولة فرعون، فكلما حاول فرعون بمفاهيمه الناقضة تشتيت موسى عليه السلام، وتفكيك مقولته، أو إنهاءها قبل تحقق غاية موسى عليه السلام الإقناعية، عاوده موسى عليه السلام بمفهوم جديد يربطه بالمفهوم القاعدي للمقولة، أو بأحد مقتضياته، فمثلا عندما قدم موسى عليه السلام مفهوم (الله تعالى رب المشرق والمغرب وما بينهما)، ناقضه فرعون بمفهوم (تهديد موسى بالسجن، وإجباره على طاعة فرعون وعبادته)، وهو ما يقتضي إنهاء الحوار بينهما، فعاجله موسى عليه السلام بمفهوم آخر ذي تأثير طرازي عال، اكتسبه من صيغته الاستفهامية؟ وما يكتنفه من تحد واضح لقوة فرعون، وهو (أو لو جئتك بشيء مبين؟)، فاستأنف بذلك المقولة مرة أخرى.

الملاحظة السادسة: اتسمت مقولة موسى عليه السلام في عمومها بالمبادرة إلى المفاهيم الجديدة، في حين اتسمت مقولة فرعون في عمومها برد الفعل، ونقض مفاهيم موسى عليه السلام، إلا في قليل من المواضع التي استجمع فيها فرعون (وملؤه) شجاعته، وبادر إلى مفهوم جديد لعله يربك موسى عليه السلام، ويشتت أفكاره، مثال ذلك ما حدث في مفهوم (اقتراح الملأ على فرعون بأن يرجئ التحدي مع موسى عليه السلام لحين جمع السحرة، ومناجزتهم موسى عليه السلام)، وقد جاء هذا المفهوم من ملأ فرعون بعد المفاهيم: (هددَّ فرعونُ موسى عليه السلام بالقتل) و(استعاذة موسى عليه السلام بالله تعالى) ثم (وصف فرعون بنكران العقل والتكبر والكفر بيوم الحساب) وهذه المفاهيم من شأنها إنهاء الحجاج بينهما لصالح موسى عليه السلام، حينئذ بادر ملأ فرعون بمفهومهم؛ إنقاذا لفرعون، وإرجاء لانتصار موسى عليه السلام.

نتائج البحث

انتهى البحث إلى عدد من النتائج التي عرضها البحث أثناء تناول قضاياه، وفيما يلي إشارة إلى أبرزها:

- صياغة مفهوم المقولة الحجاجية في ضوء مبادئ النظرية الطرازية الموسعة، ومفهوم الحجاج اللغوي، وتعريفها بأنها نص خطابي، يتبادل فيها طرفان أو أكثر الحجج والنتائج بهدف إقناع أحدهما الآخر الذي قد يقتنع بحجج الأول، أو يرفضها، أو يتهرب منها، ويراوغ فيها، وهذا يعني أن لكلٍّ من المتكلم والمخاطب مقولته الخاصة، وأن كل مقولة منهما تتقاطع مع الأخرى في عدد من المفاهيم تأييدا أو إنكارا، وأن هذه المقُولة النصية هي المقابل اللفظي لعملية المقْولة الذهنية التي يجريها كل من طرفي الحجاج في ذهنه، ينظم فيها مفاهيمه في ضوء خصائص مقْولة الطرف الآخر؛ حتى يتسنى له تحقيق غرضه من الحجاج.
- تقسيم المقولة الحجاجية التي دارت بين موسى عليه السلام وفرعون إلى أربع جولات وفق مضمونها، وأطراف الحجاج فيها، وأدواتها المستخدمة في المحاجة.
- اقتراح مفهوم الوحدة الطرازية الصغرى في المقولة الحجاجية، وذلك في ضوء مفهوم التأثيرات الطرازية في المقولة الحجاجية، حيث تتألف الوحدة الطرازية الصغرى من مفهومين بينهما علاقة دلالية، سُمِّي الأول منهما بالمفهوم المصدر، وهو ذلك المفهوم الذي يمتلك تأثيرا طرازيا، وهو الأقوى، وسُمِّي الآخر بالمفهوم الهدف، وهو المفهوم الذي يتلقى التأثير الطرازي الوارد إليه من المفهوم المصدر عن طريق العلاقة الدلالية.

- تعيين المفهوم القاعدي للمقولة الحجاجية التي دارت بين موسى عليه السلام وفرعون، وهو (أن الله تعالى هو رب العالمين)، حيث قصد موسى عليه السلام إلى جعله مفهوما قاعديا بافتتاح مقولته به، وجعله مرجعا لجميع مفاهيم المقولة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.
- الكشف عن تأثير التأثيرات الطرازية في المفاهيم المتدافعة بين طرفي الحجاج على خصائص المفاهيم التي بنيت منها المقولة، حيث عينت:
  - المفهوم القاعدي، وهو الأكثر مرجعية من بين مفاهيم المقولة.
  - المفاهيم المنقطعة، وهي التي يعجز الخصم عن مجاراتها لقوة تأثيراتها الطرازية فيتجاهلها، ويترك المفهوم المصدر دون أن يكون له مفهوم هدف.
  - المفاهيم المغالطة، وهي المفاهيم التي يعجز الخصم فيها عن مدافعة التأثيرات الطرازية للمفهوم المصدر، فيأتي بمفهوم هدف مراوغ، لا يصلح أن يكون ردا على المفهوم المصدر، كأن يأتي بمفهوم هدف أعم مما يقتضيه المفهوم المصدر، أو يعتمد مبدأ القياس الخاطئ، أو يستخدم مفهوما هدفا ملبسا.
- بيان خصوصية المقولة الحجاجية من حيث كثرة المفاهيم المضمرة فيها، التي يقتضيها الإيجاز العام، وسرعة عرض الحجج أو الرد عليها، وإفساح المجال للمفاهيم الأَوْلى، أو التدرج في تقديم الحجج والمفاهيم لئلا يفشل الحوار بين طرفي الحجاج.
- قدرة النظرية الموسعة على تحليل بناء المقولات ذات الطابع المعجمي، من حيث بعدها العمودي القائم على علاقة التضمين، الذي جعل من المقولة بناء هرميا، يمثل المفهوم الأعلى قمته، والمفاهيم الفرعية قاعدته، ويتمركز المفهوم

القاعدي بينهما، أما المقولة الحجاجية فهي وإن كانت تدخل في إطار النظرية الموسعة بوصفها عملية ذهنية يصنف بها كل طرف من أطراف الحجاج المفاهيم في ذهنه قبل أن يدافع بها مفاهيم الطرف الآخر، فإن مفاهيمها لا تتوالد عن طريق علاقة التضمين، وإنما عن طريق علاقة الاقتضاء، وهذا ما جعل المقولة الحجاجية أقرب إلى الشكل الشبكي، منها إلى الشكل الهرمي الذي نادت به روتش، وترتب على ذلك اختلاف طبيعة المفهوم القاعدي للمقولة الحجاجية عن تصور روتش له في نظريتها.

هذا ويوصي البحث بمزيد من الدراسات التي تستهدف تطبيق النظرية الموسعة على أنواع أخرى من المقولات النصية، وذلك للكشف عن خصائص تلك المقولات، وترابط مفاهيمها من ناحية، وتطوير النظرية الموسعة نفسها، وتدعيمها بمفاهيم جديدة، وآليات تقتضيها تلك المقولات.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم
- التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- تصور السمات الدلالية، نموذج فيتجنشتاين وبعض امتداداته في النظرية اللسانية الحديثة، محمد غاليم، اللسانيات العربية مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، العدد١، يناير ٢٠١٥م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٧م.
- علم دلالة الأنموذج: الفئات والمعنى المعجمي، جورج كليبر، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة صلاح الماجري، المنظمة العربية لترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- المعنى القاعدي في المشترك: مبادئ تحديده وطرائق انتشاره. دراسة في نظرية الطراز، عبد الله صولة، مجلة المعجمية، تونس، العدد: ١٨-١٩، ٢٠٠٣م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٢٠ هـ.
- مفهوم التشابه الأسري بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسعة، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م.
- المقولة في نظرية الطراز الأصلية، عبد الله صولة، حوليات الجامعة التونسية، العدد: ٤٦; يناير ٢٠٠٢،
- المقولة والطراز مقاربة في الدلالة العرفانية (زرايب العبيد) لنجوى بن شتوان أنموذجا، مجلة شمال جنوب، العدد الثاني عشر، ديسمبر ٢٠١٨م.
- المقولة والطراز والمستوى القاعدي في نظرية الطراز، ضمن كتاب دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالخ البوعمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م.
- نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، مجلة المنهاج، العدد السبعون، ٢٠١٣م.
- نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكروواُنسكومبر، جايلي عمر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، ٢٠١٨م.

Argumentation category in the Holy Quran: Cognitive study in the lens of the Extended Prototype Theory (Argumentation of Moses and Pharaoh as a model)

Abstract:

This research employs a cognitive approach to understand Argumentation category in the Holy Quran from the standpoint of the extended prototype theory in order to critically examine the debate between Moses and Pharaoh as a model. The study aims to define the notion of Argumentation category and analyze its conception in the context of the principles of the extended prototype theory, shed light on the attributes that distinguish it from the Lexical category, and reveal the characteristics of the cognitive structure of the Quranic arguments.

Therefore, the research relies on the descriptive-analytical approach as a methodology that formulate a new in-depth understanding of argumentation category, construct contemporary regulations to revisit the basic concept of argumentation category. Furthermore, to detect the network structure of argumentation category, instead of the hierarchical structure that the expanded theory called for.

Keywords: Extended prototype theory, linguistic argument, Argumentation category, the basic concept